رسائل
و
قصص
كيد الرجال
بلغنامي عبد الرحيم
دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع
كيد
الرجال
بلغنامي عبد الرحيم
دار المجدد
للنشر والتوزيع

كيد الرّجال

رسائل وقصص وجدانية

المؤلّف: بلغنامي عبدالرحيم

التّدقيق اللّغوي والتّنسيق: بلغنامي عبد الرحيم

طبعة أولى عن دار المجدّد للنشر والتوزيع

2نهج حفصي الطاهر (وراء الولاية) –سطيف/ الجزائر

036.82.58.09 /0550.93.31.19 /0550.93.31.07

جميع الحقوق محفوظة

المكتبة الوطنية الجزائرية 2019

ردمك: 978-9947-38-220-2

فيفري2019

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكلّ طرق الطّبع أو النّقل دون إذن خطّي من المؤلّف أو دار النّشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

لا بدّ أنّه أصبح من الصعب خلق منتوج أدبي مختلف، فعدّة عقود بل قرون من الإبداع، استطاعت أن تتكلّم عن كلّ أمر قد يخطر ببال كاتب من الألفيّة الثانية، كما يصعب إقناع القارئ بمنح كتابٍ ما فرصة ما لم يكن عنوانا موصى به أو نال حظّا عظيما من الإشهار أو كان كاتبه شخصيّة لها ذكر مرفوع وسط الأدباء والعامّة.

كلّ هذا كان دافعا لي لأتحدّى الوضع السّائد بظنونه وقوانينه وواقعيّته لأضع بين أيديكم نصوصا هي ثمرة سنوات من التّدوين، فضّلت نشرها بدل الأشعار لثقتي أن القارئ سيجد فيها الاختلاف والابداع المنشودين.

أخيرا أتمنّى لكم قراءة محفوفة بالمتعة.

نلتقي عند النهاية...

كيد الرجال

رسائل وقصص وجدانية

تأليف: بلغنامي عبدالرحيم

من أنتَ سيدي؟

وقبل أن ينقشع الضباب الذي يغشاني، نظرتِ إليّ بعينين ذابلتين، يرهقهما النظرُ صعودا، قلتِ:

-"من أنتَ يا سيدي؟"

أجبت:

-"كلّ شيء كنتِ في انتظاره".

مددتُ يدي إليكِ كما يُلقي البحّار بحبل السفينة إلى ناجٍ وسط البحر، تردّدتِ قليلا ثم وضعتِ راحتك على راحتي، شعرتُ بارتجاف خافقك، كنتِ أشبه بطير صغير أحميه بين يديّ ... يومها تعرّفتُ على شعور الالتزام بحماية أحدهم ورعايته، كنتُ قبلك مُحبّا فاشلا!

رحتُ أقرأ تفاصيلك؛ أجيب عن أسئلة أتوقّع أنّك ستطرحينها ذات دقيقة، محاولا أن أُشعرك بالأمان وأنّي أفهمك... بدل ذلك كنتِ تشعرين بالخوف، خوفٌ من نوع مختلف، كأنك استمتعتِ باختراقي روحَكِ لحظات؛ إلى أن وصلتُ إلى أمرٍ لا تريدين أن أعرفه، سحبتِ ناظريك وضممتِ ذراعيك على جسدك في إيحاء عفويّ عن الانغلاق على نفسك، قلتِ:

-"من أنتَ يا سيدي؟"

أجبتُ:

"بعض الذي أنت في انتظاره!"

رعيتُ فؤادك من كلّ شيء، رعيتك من كلّ ما هو بشري وحميتكِ من نفسي التي كانت تختلس هنيهات معك لتتعرّف على الحبّ، لم أعرفه قبلك آنستي، بدا جميلا ... كنتِ أحببتني سلفا حينها وكنتُ لازلتُ أتساءل عن ذاك الشيء الذي تخفينه بين أضلعك عدا الحبّ ... أمضينا ما يكفي من الوقت سويّا، تذكرين ما قلتِه لي؟

-"كل شيء يحاربُ الحبّ في هذا الزّمن".

قلت لك وأنا أنظر إلى الأحلام تنادينا في الأفق:

-"أتيتُ من زمن يحارب فيه الحبُّ كلّ شيء!"

ثم التفتُ إليك ورأيتُ لأول مرّة عينيك متّسعتين تنظران صوب عينيّ، كنتِ متفاجئة وسعيدة و... بدا لي أن مشاعرك اختلطتْ، لم تدري ما يجبُ عليكِ قوله وأنا لم أسألك، أستطيع فهم صمتك... تتذكرين؟ ذاك اليوم... وُلدَ حبّنا بعد مخاضٍ طويل.

ذاك الشيء الذي تخفينه! هل كانَ عليّ تأجيل السؤال؟ بالنسبة لي صرتِ ملكا لي، ما كنتُ لأسمح لشيء بإيذائك، غير أنّك كنتِ أنتِ من يؤذي نفسك، لذلك لم يكن بوسعي إنصافك ولا حمايتُك... نما ذاك الشيء، أكثر ممّا يجب... ذاك الشيء لم يكنْ سوى "الواقع"، هل كان عليّ تأجيل السؤال إلى النهاية؟ أم كان عليك إعطائي أجوبةً في البداية؟

على أنقاض حبّنا المهزوم، على عبراتٍ كثيرة وفُتات أحلامنا التي اندثرت كالنجوم، التفتِ مُضِيّقة أجفانك تسترجعين شريط ذكرياتك، كأنك تمسكين بطرف إحداها... من جديد سألتني:

-"من أنتَ يا سيّدي؟"

ارتديتُ قبعتي ومشيتُ متلاشيا في الضباب وأجبت:

"شخص لم يكن عليك انتظاره!"

من الدرجة العشرة

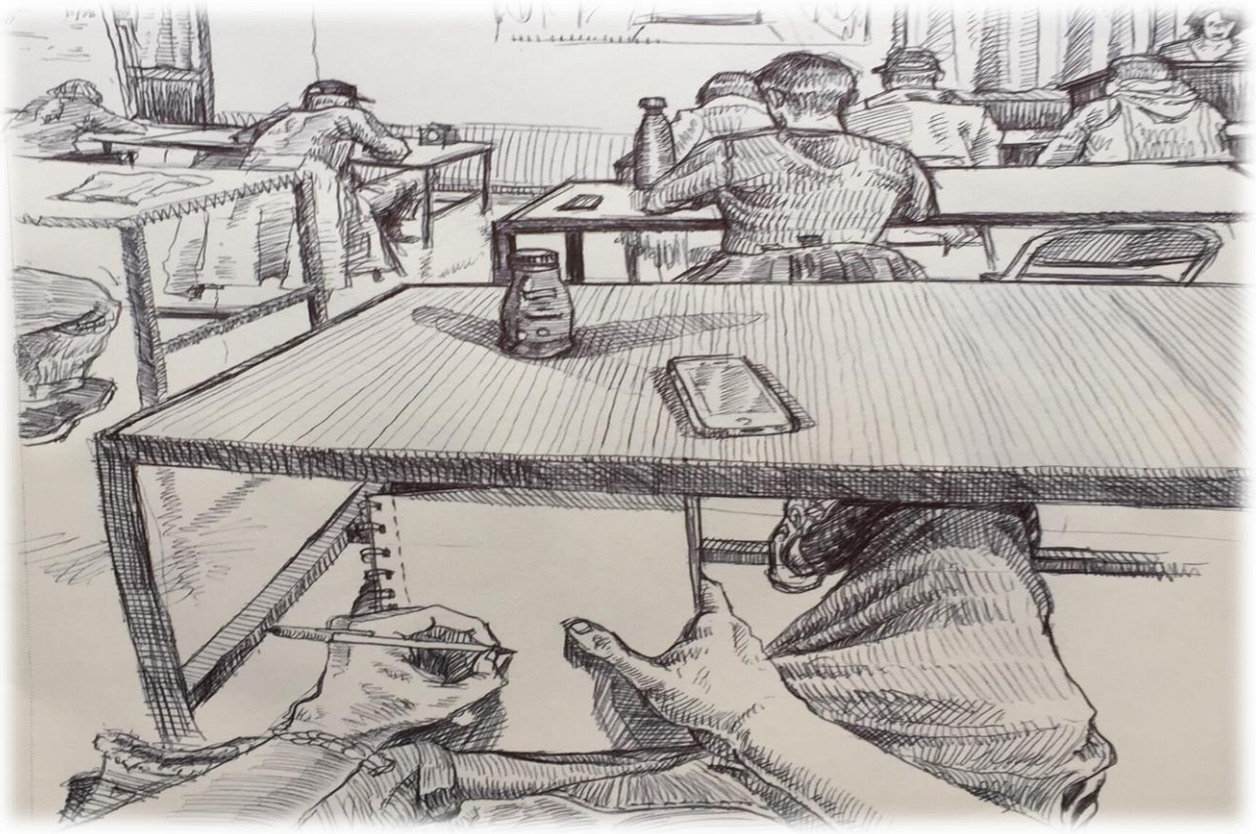

لَمَّا حللتُ لأوَّل مرّة معادلة من الدّرجة الثانية؛ سألتُ الأستاذ:

-"لِمَ...؟ لِمَ نحنُ مجبرون على حلّ مشكلة واحدة لإيجاد حلّين؟"

أجابني:

-"ستعرف الإجابة السّنة القادمة..."

انتظرتُ سنة كاملة؛ وفور وصولي إلى الثّانوية، دخل الأستاذ من دون مقدّمات وحوّل العبارة المنشورة إلى جداء باستخدام الحلّين...

فهمت! إيجاد حلول أكثر يجعلنا نحوّل المشكلة الكبيرة إلى مجموعة مشاكل جزئية أسهل! حينها شعرتُ أنّي أريد حلّ مشكلة من الدرجة الثالثة إن أمكن.

سألت الأستاذ:

-" كيف يمكنني حلّ مشكلة من الدّرجة الثالثة؟"

قال:

-"ستعرف بعدَ سنتين!"

خلال تلك المدّة؛ كنتُ أحلّ كلَّ المشاكل التي يواجهها النّاس، شرط أن تكون من الدرجة الثانية.

بين شخصين... كنت أنفرد بكلّ منهما وأعالجه على طريقتي، حتّى أنّي ذات مرة عالجتُ مشكلا محتدما بين قطّتين! أصبحتُ فورا مشهورا بين أقراني بحلّ النزاعات؛ حتى دعاني أحدهم ذات يوم إلى خصومة ثلاثة من أصدقائه، فاعتذرت، سألني من غيري يمكنه فعل هذا، أجبته أنّي لا أجيد حلّ مشكلات من الدرجة الثالثة! لكن، بإمكانه الانتظار؛ فأنا لم تعد تفصلني سوى سنة واحدة، ثم سأعود لفضّ النزاع. بعدها بسنة، تعلّمت حل مشكلة من الدرجة الثالثة، كنت سعيدا جدا بذلك، حتّى أنّي كنتُ ألصق ثلاث سمّاعات هاتفية وأشابك خيوطها ثمّ أحلها من جديد، طبعا، فأنا أجيد حلّ معادلة من الدرجة الثالثة! فجأة تذكّرتُ الأصدقاء المتخاصمين، طرقتُ باب صديقي وسألته عنهم، قال أنّهم لا يزالون على حالهم، قلت أنّي سأحلُّ المشكلة، فأنا أجيد حل معادلات من الدرجة الثالثة!

سألته:" ما سبب النزاع؟"

قال: "فتاة!"

قلتُ:" أعتذر! فأنا لا اجيد حل مشكلات من الدرجة العاشرة !"

على قلبك أيتها الغبية

إنه الإثنين، يومي المفضّل برفقتك... تريدين النّوم لترتاحي وأودّ أن تنامي لأنام؛ وحين أستيقظ أجدك تتأملينني ولا يسعني أنْ أسبقك، حاولت سابقا لكنّك الأفضل في فعل هذا، أحدُنا بداية والآخر نهاية.قلبك قارورة وأنا الجنّي الذي يسكنها، أو أنّني الجنيّ وقلبك القارورة الوحيدة التي تبقيني بهذا الشكل اللطيف، أستطيع تحطيمها بسهولة لكن لن يسعني التراجُع بعدها، سأعود مشرّدا كما وجدتني حين التقينا أوّل مرّة... تذكرين؟ نحن لم نُعجب ببعض ولم نشعر بالحبّ ولا بأيٍّ من تلك الأمور التي يتحدّثون عنها، كانت تعجبني إحدى صديقاتك وكنتُ أحبُّ طريقة ترتيب شعرها بالضّبط... ويوم علمتُ أنّك من تصفّفُ شعرها شعرتُ بقدرتك الخلّاقة، أصبحتِ بالنسبة لي أكثر أهمية من عملك، كنتُ أقدّر الفنّ وما زاد إعجابي بك أنّك تحبّينه مثلي، لا تَعجبي! أصبحتُ أراقبك مذ وضعتك على لائحة الأمور المثيرة للاهتمام... كنتِ يومها ترسمين أمورا ولخبطاتٍ على الورقة، اقتحمتُ وحدتك وقلتُ:

-"أنت موهوبة في الخربشة!"

ضحكتِ بخجل وقلتِ:

-"لا بدّ أنك ضليع في هذا النوع!"

-"في الحقيقة أنا مستكشف في هذا المجال وقد اخترتك لتكوني تلميذتي".

-"منذُ متى؟"

-"منذ اللحظة!"

-"ما الملفّ الذي عليّ إحضارهُ؟"

-"أحضري ابتسامة وقلما ومنديلا معطّرا."

ضحكتِ وقلتِ:

-"لم المنديل؟"

-"لتنعشيني حين يغمى عليّ حين تبتسمين في المرّة القادمة!"

-"لقد نسيتَ الورقة!"

-"يمكننا استعمال ورق الحمّام ".

ضحكتِ كثيرا هذه المرّة وقلتِ:

-"أنت مقرف!"

-"شكرا على المديح، أنت تلميذة مشاغبة وأنتِ معاقبة الآن!"

غيرتِ ملامحك بغنج وقطّبت حاجبيك وقلت:

-"ما عقابي؟"

-"أن تخربشي اسمي!"

-"ليس لدينا ورق... آه تذكرت، ورق الحمام!"

اقتربتُ منك وهمستُ بملامحَ صامدة:

-"بل على قلبك أيتها الغبية... على قلبك!"

ألاحقك

عقلي مشوّش قليلا هذه الأيام، أستيقظ صباحا وأعجز عن تذكّر في أيّ ايوم نحن وما حدث أمس... لم أعتقد أن يومي المفضّل في الأسبوع سيسوء بهذا الشكل، إنه يوم الإثنين ويجب أن يكونَ رائعا برفقتك، ربّما أهانتك عبارة "أيتها الغبية" الإثنين الماضي! ابتسمتِ لبرهةٍ ثم فقدتِ زمام تعابيرك وحركاتك، كنتِ تنظرين إلى عينيّ تائهة، كنتِ تقرئين تلك الحروف المألوفة لك، بسطتِ دونما شعورٍ يدكِ المفتوحة، بين ذقنك وصدرك، بدوتِ خائفة جدّا كأنك تشاهدين من جديد قصّة مرعبة عشتِها... طأطأتِ رأسك مبتعدة عن مقعدكِ... قلتِ: "أعتذر"، وانصرفتِ مسرعة.

كان الأوان قد فات لأتراجع عن حبّك، مهما ابتعدتِ كنتُ سأجدك وسأصرّ على رؤيتك ومحادثتك، حرصتُ على المجيء كلّ يوم، أنتظر مجيئك، وأترقّب طلعتك، مرّ اليوم الأول ولم تأتِ والثاني والثالث...

كان حالي يزداد سوء في كلّ يوم لا أراك فيه؛ وكنتُ أتساءل: "هل نلتُ من قلبك كما نلتِ من قلبي؟"، ثمّ أسترجع كلماتي لك قبل أن يحدث ما حدث... لا بدّ من وجود خطبٍ ما فيها! كيف لا أستطيع إيجاده؟ ما الخطأ؟"

أنا الآن في آخر مراحل صبري وبعد أسبوع في أحسن الأحوال، سأكون أمام بيتك بعد أن أجده، أتتبعّك وأراقبك و أنظر طويلا حتّى أسقي فؤادي المتعطّش لك، قرّرتُ للتوّ ارتشاف كأس القهوة، يقولون أنّنا حين نحبّ شخصا ما، نحبّ أشياءه و عاداته و نحبّ من يحبّهم و أنتِ تحبّين القهوة "أليس كذلك؟"، لعلّي حين أرتشفها سأحسّ بقربك ويخفّ لهيب الشوق الذي يتآكلني... كثيرا ما أشعر باليأس لكن عزائي هو الموعد الذي حدّدته للبحثِ عنكِ، كلّ ما يهمّ أنّي سأراك مجددا... طفح الكيل شربتُ ما يكفي من القهوة ولم تعد تخدّرني كالسابق، الآن أريدك بشدّة أكثر من أي وقتٍ مضى، سأستبق الموعد وأخرج لأجدك...

فجأة دخلتِ وعيناك تلمعان ببريقهما الكونيّ، قلتِ:

-"أتسمح لي بالدخول أستاذي؟"

حينها مثّلتُ دور المجروح المتمسّك بكبريائه وقلتُ:

-"هل لديكِ تبرير لدخول الحصّة؟"

كنتِ على وشك البكاء وكنتُ على وشك احتضانك، قلتِ:

-"لديّ خربشة كنتُ أعمل عليها واستغرقت منّي كلّ هذا الوقت".

-"أ هي جميلة؟"

-"لا أدري... لكنّي صمّمتها على مقاسِ قلب واحد لا غير".

-"إذا يمكننا أن نصل إلى تسوية".

-"تظن ذلك؟"

-"إن ناسبت مقاس قلبي؛ قد أسمح لك بحضور الحصّة".

ضحكتِ وانفجرت عيناك بالدموع، قلتُ لكِ:

-"وإن غبتِ ثانية؛ عقابك أني سأكون مستعدا لملاحقتك إلى آخر الدّنيا".

-"سأكون تعيسة إن لم تلاحقني".

يومها احتضنتك لأوّل مرّة وقلتُ:

-"أتعلمين...؟"

أجبتِ وثغرك مخنوق فوق صدري:

-"ماذا؟"

-"لا تفسدي قميصي بمخاط أنفك".

ضحكتِ ضحكة مختلطة ومختلجة بالدموع، قلتُ:

-" هنالك أمر آخر!"

-"ما هو؟"

-"أنتِ أوّل فتاة تقترب بهذا القدر من قلبي!"

كنتُ صادقا جدّا... يومها لم أحتضنك لأول مرّة فحسب، بل كانت أوَّل مرّة أحتضن فيها فتاة... نظرتِ إليّ صعودا وعلمتُ حينها أنّك تورّطت جدّا بي، كان الأوان قد فات لتتراجعي عنّي، سأكون أكثر عمل متهوّر قمتِ به... سأكون هديّة للأبد أو ذكرى للأبد، في كلا الحالتين علمتُ أنّي سأحبّك... للأبد!

النّاسك المنحرف

أتوجّه إلى سكونك متضرّعا بقدسيّة الحزن؛ وحاملا سبحة من حلقاته المتوالية، أنا الزّاهد الدّرويش ذو الكفّ المتخاذل عن إمساك راحة يدك النّاعمة، تتطلّع عينايَ لسماء ناظريك متلمّسة فيهما الحنان الذي لم أعرفه فيك واللّطف الذي لم أعهدهُ منكِ، أسألك نصفَ سؤالٍ: "هل الرحيل قدر أم اختيار؟" لكنّك تدرينَ أنَّ سؤالي يبدأ بعد إجابتك و لا ينتهي بها، أسألك لأجيب و أجيبك لتسأليني عمّا أردتك دوما أن تسأليه، أقود دفّتك و لم أعد أقوى على إمساكها؛ فالأمواج المتلاطمة بيننا ترهقني وأكاد أفلتها في كل لحظة... ثمّ أتساءل: " كيف استطعت إمساكها كلّ هذا الوقت ؟ بل ما السبب الذي ألهمني لذلك؟" ما أريده حقّا هو الوقوف أمامك ولطمك بقوّة، حينها ستعودين لوعيك أو ستفقدينه تماما، أكره وقوفك عند الباب، لا دخول ولا خروج، في هذه الأثناء كلا الخيارين يبدو مغريا بالنّسبة لي... "هل الرّحيل قدر أم اختيار؟"

أمسك سبحتي وأقلب عقيقها بإصبعي؛ وينطلق خلدي بذكر خصالك التي تشفع لك أمام وحشيّة تقلباتي؛ وأمام هيجان الغضب في أوردتي وأحاول الإجابة: "هو قدر لأنه واقع لكنّه اختيار لأننا نتسبّب فيه." أُسبّحُ وأرفع ناظري إلى سماء ناظريك العسليين وأعوذ بحكمتي الفتيّة من بريقهما المتراقص، ينطلق قلبي بالإيقاع وأقول لنفسي: " أليس الإيقاع أوّلا؟ أ وليس هو ما يضبط خطوات الرّقص؟"، تسارع عيناي الباردتان من ألف سنة بنظراتهما الفارغة، أصافح بؤبؤكِ متوجّسا ومتخفِّيا خلف رموشك المخضّبة بالكحل الأنيق، أنا الدّرويش ذو الكفّ المتخاذل عن إمساك راحة يديك النّاعمة؛ وذو الخنصر المشلول عن مسح الدّمعة المنسابة على خدّك الأسيل، أفكّر فيه وهو ينزلق إلى ذقنك، رافعا إيَّاه، لتعتليَ نظراتُك من جديد وتراقصني كما فعلت قبل قليل، أعوذ بصبري من براءتك الغاوية، كم صرتُ محترفا! كم صرتُ منحرفا! أنا النّاسك المنحرف؛ ذو الأصابع الرشيقة المتفنّنة في مسح خدّك ومعانقة أصابعك!

الذبابة الساقطة

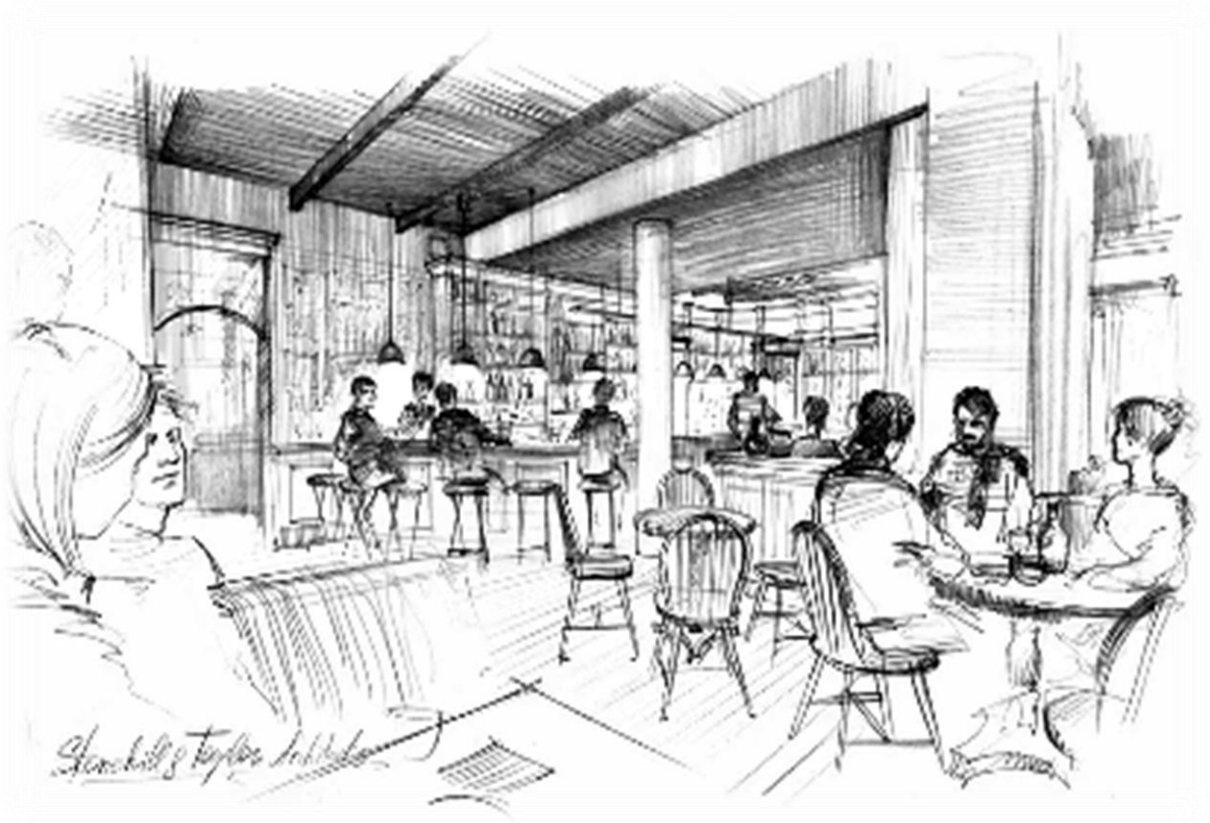

بنظرة ثاقبة إلى الفراغ؛ اخترقتُ ملايير الأجسام اللّامرئية والمجهرية، قد يكون الأمرُ اعتياديا، لكنّه في عالم ما أو علم ما أو فلسفة معينة؛ قد يُعتبر إنجازا، كلّ شيء مهمٌّ شرط أن يُنسب إلى معلم يعتمِد مقاييس مرتبطة به وأدنى من كينونته.

جالسا في المقهى، كما أفعل كلّ أربعاء، أفكِّر في كلّ شيء، أنظر إلى الذبابة وهي مستغرقة في النظر إليّ، كأنّي معشوقُها، تحرّك خرطومَها كأنها ترسل إليّ قبلاتها القذرة، قبل قليل كانت في المرحاض ربّما، هي تمارس ألاعيبها مع الكلّ بنفس الطريقة ولا تشعر بضرورة التغيير، البشر وحدهم من يلحّون على التغيير حتى حين تكون النتائج مُرضية للغاية، طارت وحطّت على سروال الشخص المقابل لي هناك، زادت قلّة أدبها، إنها توليه دُبرها، ترتكز على يديها و ترفع مؤخرّتها للأعلى، لقد طردَها، يبدو أنها ليست نوعَه المفضَّل، أو أنَّه تقيّ يكره الإباحية، ها هي ذي تطير من جديد، تطوف بالجميع تتصيّد فريسة ما، بعد دقيقة من المحاولات اليائسة عادت إليَّ مكسورة الخاطر ووقعت على لطخة الشّكلاطة في إصبعي بشراهة، نسِيَتْ أحزانَها التي عُمرها دقيقة واحدة من الرّفض، ما يؤكد لي واقع أنَّها تنسى بسرعة وأن حياتَها قصيرة للغاية، دقيقة واحدة قد تعادل سنوات من جريي خلف مؤخرات الفتيات الممشوقة، وهنّ يطردنني بكعوبهن العالية، لن أقوم بأمر غبيّ كهذا، أنا لست ذبابة!

"لستُ وحيدا، ضربتُ موعدا مع نفسي لنتعرف على بعضنا ويبدو أننا لا نتفق كثيرا! من الفارغين إلى الفراغ!" ... إنّه وقت العمل عليّ العودة الآن.

ماء بارد حبيبتي... وألفُ مصباح

بطريقة ما أقنع الآخرين أني بحاجة إلى المساعدة، همْ من أقنعوني سابقا أني غنيٌّ عنهم. غريبٌ أنّ الّذين يساعدون الآخرين عادة ما يريدونه حقّا هو مساعدة أنفسِهم، باحثين عن ذاكَ الرّضا الذي يولِّده إسعادُ شخصٍ ما؛ أو بحثا عن ملئ الفراغ الذين يسكنُ أرواحَهم والوقتِ الذي يستنزف إيجابيتهم؛ كأن تنقذ حياة عصفور لتستمتع بغنائه؛ أو تصلح البرّاد في بيتك كي تنعم بماء بارد... لذلك ترى أنه من المنطقيّ أن من يقدّمون المساعدة؛ كثيرا ما يكونون أحوج إليها، أليسَ كذلك آنستي؟ لا أظنّك نسيتِ كيف أخرجتني من عزلتي وشرودي الواعي، جررتني إلى عالمكم القاسي وعلمتني أنّ الأحلام جميلة لكنها غير مثمرة، هل كنتِ تدرين حينها أن الواقع وقح؟ أنّه يعدك ولا يعطيك ويعطيك ثم

يسلبك؟ رأيت سعادتك برفقتي، رأيتُ كيفَ أنك استأنستِ برواياتي عن الأحلام والخيال الذي أسكنه وكيف استوطنتِهما بعد تشريدي منهما، يبدو أنّ البرّاد قدّم لك ماء باردا في النهاية، أحسنتِ صُنعا...

بعدكِ ازداد حالي سوءا وأصبحتْ عزلتي حتمية بعدَ أن كانتْ خيارا، هل جرّبتِ أن تكوني محاطة بألف مصباح ولا ينيرَ أيّ منهم موطئ قدمك؟ هل جرّبتِ امتلاك ألف منديل لمسح دمعك ثم تأخذها أوّل ريحٍ تهبّ بك؟ هل جرّبتِ مرافقة الناس لكنَّ لا أحد منهم يخترق دائرة وحدتك؟ لا بدّ وأنَّك تدركين جيدا ما أتحدث عنه؛ وإلا ما كنتِ هربتِ من هذا العالم بأنانية، الكلّ يريد مساعدتي، يريد إخراجي من الحزن الذي طغى على ملامحي القصصية والشكلية، لكنّهم في الحقيقة يبحثون عن مكان ترتاح فيه ذواتهم مثلك تماما، هم يريدون مجددا تشريدي من عوالم أخرى أستوطِنُها! يريدون احتلال موطني... حبيبتي.

أكثر وسامة

هل حقاّ صرتُ أكثر وسامة كما تدّعين؟ أم أنّك تحاولين رفعَ معنوياتي بعدَ فقداني كلّ هذا الوزن نتيجة الإرهاق؟

حين أنظر إلى المرآة، أرى وجها لم تزد ملامحه إلا غضبا وشرودا، أنا غاضب منك لأنّك رحلتِ ولأنّي أفتقدك بشدّة و... ولأنّك هناك حيثُ أنتِ... لن تفتقديني، ليس من العدلِ أن تنعمي بالسلام بينما أنهض كلّ يوم لأحارب مشاعري ومخاوفي وظنون الغير ونفاق النّاس وآراءهم... أواجه الأمور ذاتها تكرارا... لم يعد بوسعي التعايش معهم، بالكاد أتعايش مع نفسي، بالنسبة لي فات الأوان لأصبح جزءا من هذا العالم، أحاول -بطريقة ما -أن أكون برفقتك، أن أتخيل أنك في الغرفة المجاورة منهمكة في عمل ما يشغلك عن الردّ.

بعد بضعة أيام سأكون قد فقدت بضعة باوندات أخرى من وزني... هذا سيجعلني أكثر وسامة من جديد؛ وقد يعطيني هذا فرصة للتفوّق على أحد الممثلين... لا تعجَبي! فمشاعري اتّجاهك مبالغ فيها، ما يعني أنّي أصدّقك أكثر ممّا يجب... لعلّك أدركتِ الآن أنّ الخيال الذي أخترعه هو امتداد لك؛ ولهذا أرفض مغادرته بل يجب أن أقول أنه... يرفض مغادرتي!

والآن اصدقيني القول، هل أبدو مثيرا للشفقة؟ لا تهمّني شفقة النّاس، ما دمتُ لستُ مشفقا على نفسي... حاليا لا أشعر أني وصلت إلى مرحلة مزرية أبدأ فيها الشفقة على نفسي! أنا منشغل بشفقتي على مخلوقات تستحقها حقّا... بالمناسبة، هذه المخلوقات ليست بشرية!

من أوّل يوم أحببتك فيه

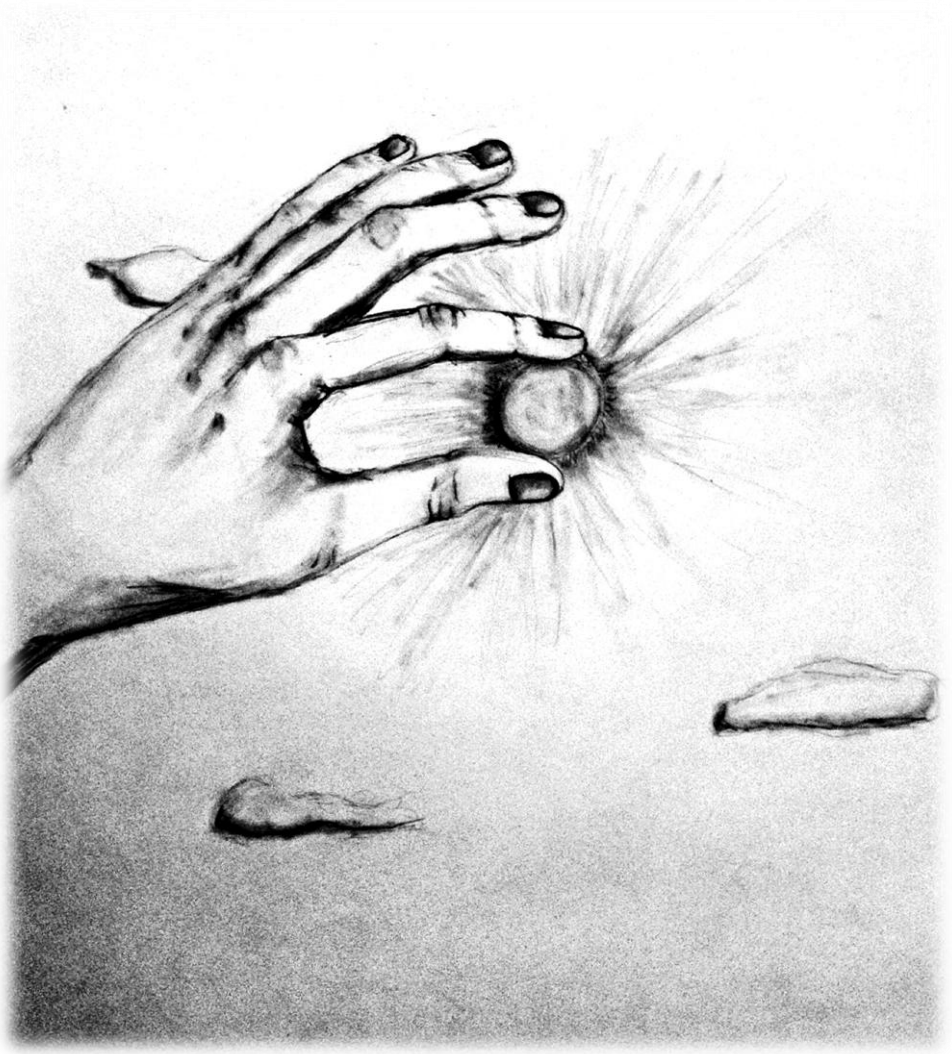

كرهتك من أول يوم أحببتك فيه ومن يومها أكتفي بمراقبتك وأحرص على ألا تريْ منّي لطفا ولا ابتسامة...أبتسم لك طوال الوقتِ، إلا أثناء مثولِك أمام ناظريّ.

أنت أجمل حماقة ارتكبتها؛ وبعد كلّ هذه السّنين لا زلت عاجزا عن الاعتراف بها... ورغم أنَّ سرّي مفضوح للجميع، أتظاهر أنّ لا أحد يدري بذنبي سواي، ما يجعلني أخيرا أشعر بقليل من الطمأنينة، أفضِّل أن أعيش في الوهم الذي أصنعُه على أن أعيش في الحقيقة التي صنَعَتْهُمْ.

أنا أخيرا مركزُ كل الأحداث، سبب شروق الشمس؛ وهطول المطر وانحسار مياه البحيرة... سيارة الأجرة تمرّ من أجلي والبنك يطبع الأوراق من أجلي؛ والماء في الحنفية والكهرباء وكلّ شيء يجري هنا... من أجلي!

إنه عالمي وسيكون كما أريد له أن يكون، يكفي أن أفهم الأمور كما يحلو لي، حتّى أنّي أنظر إلى البشر هنا على شاطئ البحر وأقول: "هم هنا كي لا يتركوني وحيدا..."

فهْمُ الأمور كما أشاء ليس مجرّد وهم، بل هو التفاؤل بعينه، ذلك لا يؤثر على مجرى الأمور ولا يغيّر الأحداث، بل يغير زاوية النظر التي أعتمدها فحسب، قد ننظر جميعا إلى طفل يضحك؛ فأضحك أنا ويحزن العجوز الذي بجانبي، لكلٍّ مقاييسُه الشّعورية، دواخلُنا بيئة خصبة لنمو وتضخّم المشاعر، لكنَّنا لا نراعي ما نزرعه فيها، ولا نراعي العمق والطريقة والنوع... الشجرة التي لا تقوَّم ساقُها هي غضة؛ ستظل مائلة دوما، وإن حاولت رياح التغيير تقويمها انكسرت!

في عالمي أنت شمس تشرق متى شاءت وتغيب متى أشاء، أبحث عنها شتاء وأنفر منها صيفا، أحبُّها لأنها نور وأكرهها لأنّها نار... كرهتك من أوّل يوم أحببتك فيه!

أبحث عن سبب

ها أنا أجلس بالمقهى كما أفعل في كل أربعاء و في نفس التوقيت دوما، أشعر أنّ لا شيء تغير وليس بإمكاني أن ألحظَ تراجع الظل الناتج عن تغير زاوية سقوط الضوء؛ نتيجة ميل الأرض عن محورها ببضعة أجزاء من المليون من الدرجة... جلستُ بكلّ مقاعد المقهى خلال بضعة أسابيع محاولا الشعور بأن شيئا ما تغير؛ وحين كدت أستنفدها كلها، ها أنا ذا جالس بالمقهى المجاور له، أين اكتشفت أن معايير النظافة متدنية فيه... ستكون آخر مرة على الأرجح، لكن لا سبيل للجزم... المقعد الذي لم أجرّبه في المقهى الأول سيكون حافزا مناسبا للعودة إليه الأربعاء القادم.

بهذا الروتين الذي لا يزعجني... أمضي وأحاول الاقتناع أنّي ذاك الرجل الذي انعكس على أعين زملائه في العمل؛ وأنّي ذاك الرجل الذي أغدقته بمدحها والدة إحدى تلميذاته بالأمس... الحقيقة أشدّ نقصا من أن أكون بهذا الكمال، لكنّنا حين نحكم الإغلاق على أسرارنا، نجعل الغيرَ عاجزا عن رؤية الجوارب المتّسخة الّتي تقبع خلف الأحذية البرّاقة... ولوْ رأوا الجوارب لتقزّزوا ثم لكانوا أكثر تقبّلا لنا كبشر! فلا نزال بشرا ما دمنا لم نكتمل.

أمضي وأحاول إقناع نفسي، أني أستحق أكثر ممّا أملك وأنّي أملك أكثر ممّا أحتاج... خليطٌ بينَ رغبتي الحيوانية في المزيد ونزعتي المثالية إلى القناعة.

ماكنت لأجلس وحيدا قبل سنة من الآن، غير أنّي غيرت مكان عملي... اعتدتُ على الرّحيل والابتعاد كلّما تعلّق بي الغير وتعلقت بهم؛ ورغم أن أسبابي في كل مرّة مقنِعة جدّا، بدا الأمر وكأنّي أبحث عن سبب في كل مرّة أرحلُ فيها، ستمرّ سنة على الأقل حتى أبدأ تكوين علاقات جديدة كالعادة!

مركز الكون

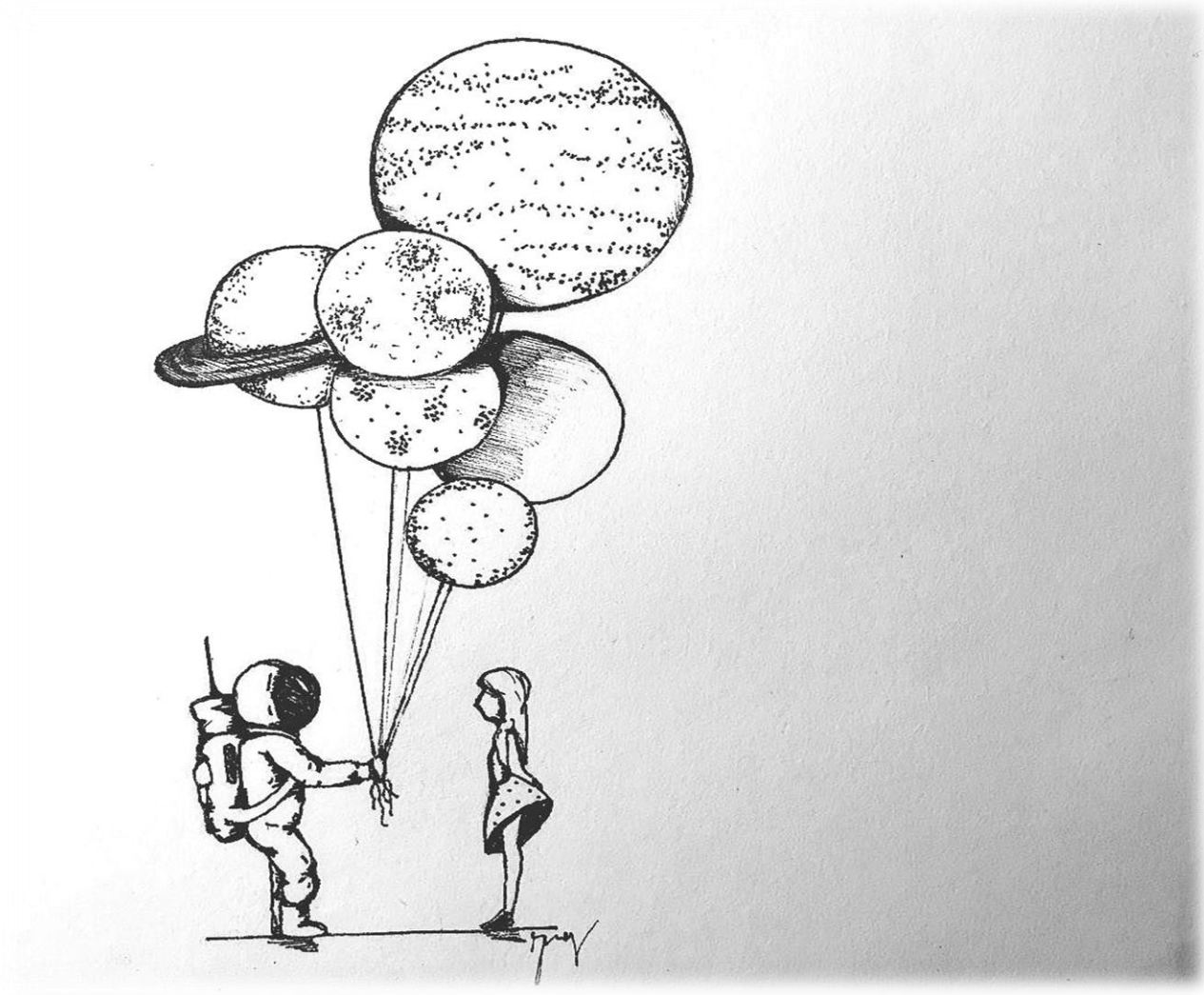

أغفيتُ قليلا وحين استيقظت؛ كانت الساعة تشير إلى السادسة وخمس وعشرين... فوّتُ الكثير كما فوّتُ صلاة الوتر الّتي أؤخّرها متعمّدا، لم أضع أني سأنام بهذا العمق في الحسبان.

يبدو أنّ ما كنتُ افكّر فيه شغلني وأرهقني؛ حتى أنّ التلفاز كان غير ذي جدوى، ولم يوقظني صوته ليلة كاملة! لا تفهموني خطأ، ليست لديّ مشاكل في حياتي، إنّما أحاول اختراع أحجيات أحلّها، أو اختراع حلول لأحجيات وجدت نفسها داخلي سلفا، قد تكون الأحجية أيّ شيء... تذكّرت! كنتُ أفكّر في أهمّية الأبعاد، كنتُ وقحا! وبتحفّظٍ أكبر، جريئا كفاية لأضع نفسي في مركز معلم عشوائي وأقيس أهمية الأمور والأشخاص والأشياء بالنّسبة إليّ، وفقا لبعدها ووضعها... خلصت إلى أنّ أهمّ من في حياتي –و أقصد

الأشخاص-لا يتعدّى بُعدهم الكرتيزياني عنّي بضعة كيلومترا، بينما الأشياءُ الأهم كالحليب والقهوة والتلفاز... فهي تَرِدُ ابتداء من أبعادٍ كان أدناها بضعة مئات الكيلومترات، حينها أيقنتُ أن قربَ الأشخاص الأهمّ منّي؛ يدلّ على أنّي شخص ينتمي إلى محيطه و ليس سعيدا ولا حزينا بالضرورة ؛ و أنّ قُرب مورد الأشياء يدلّ على إنسان منتج و متحكّم، أسقطتُ نفسي كمثال شاذّ للتّعميم بينما في قناعتي أنّي لن أصلح، أو بلفظ أوضح، لن تكون القاعدة جارية عليّ فور استخلاصها منّي بطريقة إعجازيّة، فأنا أستخلص هذا كلَّه وأكتب ما أكتبه الآن، لأنّي لستُ في كامل وعيي؛ و بعد ساعة من الآن سيبدو كل شيء كتبته غريباً بالنّسبة لي، كما سيكون غريبا أن تُعجب أنت بهذا التفكير الذي هو تفكير الكائن المتمرّد الذي يسكنني، وكيقيني بغرابة أيّ شخص كلّف نفسه عناء القراءة إلى غاية هذا السّطر.

بطريقة ما، أشعر أنّ مكانَك كان يجبُ أن يكون في نطاق أقلّ من عشرين كيلومترا، فأنت غريب مثلي، تنتمي إليّ، ستعتبرني مغرورا بكلامي هذا، فلمَ لستُ أنا من ينتمي إليك؟ لكن تذكّر أنّنا في طور الإسقاط واستنتاج القواعد وأنا مركز الكون حاليا... لا بأس بابتسامة خفيفة الآن لأنّي سأتحدّث عن الأمر التّالي؛ وهو خصامي مع القدر، أنا أحترمه وأوافقه في كلّ ما يفعل، غير أنّه الوحيد الذي حرمني من الاستمتاع بكوني مركز الكون للحظات، هو الوحيد الذي لا يعترف بالأبعاد إلا بعدا واحدا... الزمن، لا تهمّه بقية المحاور، قابل للاشتقاق في أيّ لحظة، مستمرّ وله عدّة نهايات لعدّة متغيّرات، كدالّة مستمرة تأبى حتّى انتقالها إلى دالة مستمرة بمجالات من النّوع الأول...

حاليا أرضى بمهادنته، سنكون مركزين للأحداث...لا بأس، كلّ ما أتمنّاه منه، أن يجعل لي بك -أنت من تقرأ-اتّصالا ولقاءَ، سواءً كنت أعرفك قبل اللحظة أم لا، فأنت الآن تنتمي إليّ بمجرّد قراءة الجملة السابقة، كأنّها تعويذة كبلتك لتوّك... "أنت تنتمي إليّ الآن!"

كيف يمكنهم؟

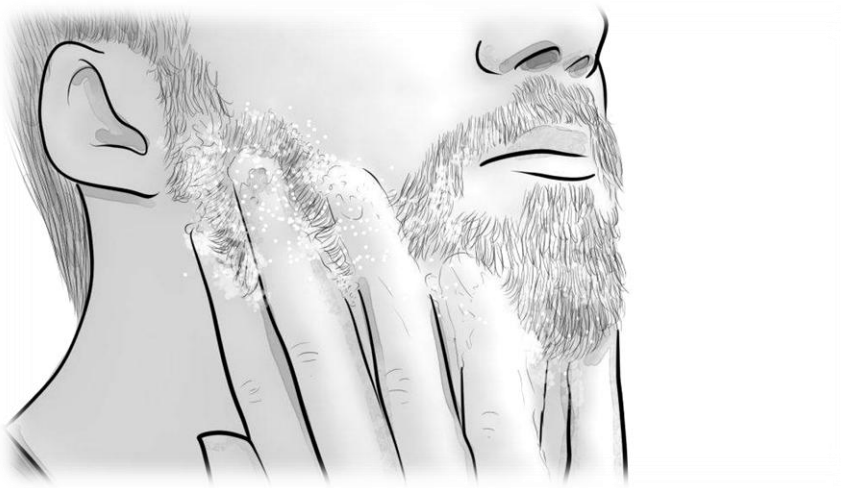

طلبتِ منّي مهرا لعودتنا؛ لذلك وعدتُك أني سأتعلم الأكل دون تلطيخ لحيتي... حاولتُ كثيرا، لكنّي فشلت وأحرجتكِ أمام الجميع من جديد، طبعا فأنا لستُ شخصا راقيا مثلهم!

التقمتِ منديلا ورُحتِ تنظفينها بغضب، قبلَ أن تلاحظي أنهم ينظرون إليك ويظنون أنّك في غاية الرومنسية... تحول غضبك إلى سرور وإعجاب، كرهتُ حقيقة أنّهم تقّبلوني أفضل منك وحقيقة أنّك في لحظة غدوتِ منافقة ومتملقة كبيرة! كانت أوّل لحظة أرى فيها مدى اختلافنا، أنت أرقى، أكثر مطالعة، ثقافة، جمالا، مالا... وأكثر منافقة؛ لا أحب المنافقين!

كنت أظن أنك الحياة، لكن يبدو أنّ الحياة أكبر من أن تختزل في شخص واحد، بدا العالم غريبا بعدك، لن تتخيّلي مدى غرابته، ستندهشين حين أخبرك بالتالي: " التقيت بالكثيرين يحبّونني رغم تلطيخي لحيتي، حتى أن أحدهم التقم منها فتات خبز وأكَله!" ... عجيب، أليس كذلك؟

أنتِ أكثر من يعلم أنّي أتحول إلى طفل في موضعين، حين آكل وحين أضحك، لا تحاولي تغيير آخر ما بقي من براءتي!

اليوم؛ وبعد كل هذه الأشهر لا زلت أتساءل: "كيف يمكنهم الأكل دون تلطيخ لحاهم؟"

شعلة وسط الصقيع

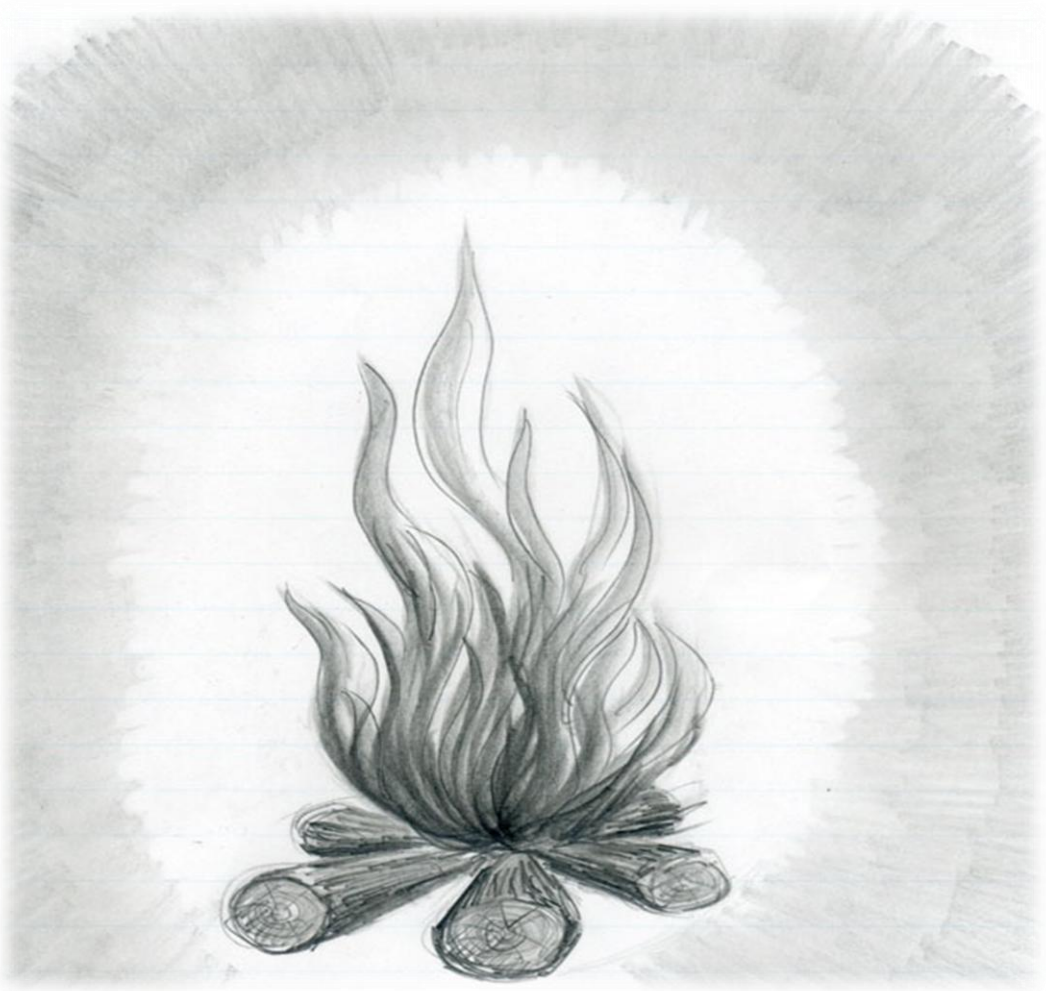

حين أحببتني كنتُ يافعا جدا لأدرك أنه من الممكن أن تحبّني جميلة ما؛ وبفضلك تعلمت كيف أكون محبوبا. بعدها بسنوات، حاولت أن أكون كل الأشياء التي تحبّينها وكل الصّفات التي تجذبك... دون جدوى، حينها علمت أن أصدق الأفعال هي التي لا نتعمّدها؛ أنّ الجاذبية في البلاهة والسخافة التي تنبع من البعد الذي تسكنه الروح؛ أنّ الحقيقة هي ما يريده شخص ناضج مثلك وإن كانتْ حقيقة مقيتة.

كم تثقلين فكرك بواقعيتك! أنت مثاليّة جدا لدرجة تجعل بقية الإناث مجرد بقية؛ أو إناثا من الدرجة الثانية أو الثالثة... ولدرجة عدم رغبة أي عاقل في إطالة الحديث معك، فتاة في سنّك تفضّل خيالا تعيش فيه سعيدة

ووهما يُغنيها عن التفكير في الواقع، ماذا يضرّنا الوهم إن كان أبديا؟ إن كان مريحا؟ أعرف فاشلا دأب على أن يشعر أن كل شيء بخير وأنه "ربّ المقلة"، كان سعيدا على الدوام، حتّى أنه حقّق كثيرا من التقدم بتفاؤله، أنا شابّ محاط بالأوهام، مليء بالتصنّع، خبير في الإخفاء، أنا بدوري وهم مثالي. لقد تخلّيت منذ زمن عن محاولة نيل إعجابك، لقد أدركت أن حبّي لم ينطفئ يوما بقلبك، أنت تحبينني لكن بواقعية! دائما ما سبقتِني بخطوة إلى النضج، الآن أدرك أنه لا مستقبل لنا؛ أنا أكثر من يشبه ماضيك القريب وأنت أبعد ما يكون عن مستقبلي شبها، نحن متكاملان لكننا ننتمي إلى عالمين متوازيين، لا تقاطع محتمل ولا تقارب يرتجى... لِم تواصلين الهروب من الذكرى؟ شئت أم أبيت أنا أحلى ذكرياتك؛ أنا جزء من هويتك وشخصيتك، من ماضيك ومستقبلك، أنا بنيتُ بعض أركانك، أنا من فتق قلبكِ بالحبّ، أنا من كنتُ أكبر أملٍ دقّ له قلبك... وأكبر خيبة فطرت فؤادَك، أنا... هُوِّيتكِ! إن كنتُ صديقا يُفضّل أن تحتفظي بي قربك كدرع أمام السهام، وإن كنت عدوّا فأنصح بشدة أن تحتفظي بي قربك بقدر كافٍ!

كشعلة وسط الصقيع، لا مفر من قربي...

نصبح صديقين؟

أجد نفسي مضطرا إلى تحيّتك يا عدوي، أنت أكثر شخص يعرفني، آذينا بعضنا مرات كثيرة، لكن أذاك لا يسبّب الحزن بل يولّدُ المزيد والمزيد من الغضب الذي أتقدم بفضله، أنت كنت أصدق النّاس معي، تكرهني بشرف وتؤذيني بأنفة، حتى أنك نصحتني قائلا: "احذَرني!"، و لا أذكر صديقا غيرك حذرني من نفسه، أنت أكثر شخص يتقبلني و هو لم يرَ منّي إلا جوانبي القبيحة، في حين يبحث الغير عن الكوامن التنتة التي أبعدها عنهم كي لا تزعجهم، ثم يدّعون أنهم اكتشفوا حقيقتي، أحترمك يا عدوي لأنّ ما أتوقعه منك هو الأسوء، و كلّ حسنة لا أتوقّعها منك سيكون شذوذا جميلا، أحترمك لأنك تعترف بقدراتي أكثر من غيرك و تحسب حسابا لآرائي في معظم الأحوال، نحن عدوّان لأننا متشابهان بشدّة، ولا واحد منا يتحمّل أن توجد نسخة منه بهذا الإتقان... أنت من أستطيع أن أأتمنه على نفسي ذات يوم من دون تردد، لأنك ستقبل أو ترفض، لن تتحايل، هكذا أعرفك، أتساءل... هل سنصبح صديقين إن طال بنا العمر؟

أنحر عنقك!

الأفعال الماضية في كتاباتي بفضلكِ مكسورة وقد خِلتُ من قبل أن ما يكسِرُ يكون أعلى المكسورِ عادة، كأنْ أكسِر نسقَ الحديثِ عنكِ بفتحةٍ ذكوريّة بينما أقصدكِ أيّتها الأنثى، مثل النّصب بالكسرة بدل الفتحة في الجموع المؤنثة وهي استراتيجية تناسبك تماما، لكنّها ستكون خطّة مكشوفة لي بما أنّي من اقترحها، مع ذلك قد أقرأ لك أسطرا مباغتة، تُلبسين فيها اقتراحي بعض الزّخرف لتموّهيه، في محاولة عبثيّة للاقتراب قدر الإمكان من جرأتي على تحدّيك، كي تُثبتي مدى خطئي و كبريائي الكاذب، سأكون فائزا بدوري حين أكشف اهتمامك بي من خلال بحثك عن زلّاتي لتضعفيني، أعلم أنّه يقلقك أنّك لم تكشفي عن مواطن ضعفي، قرأتِ أشعاري بتركيز وسمعتِ موسيقاي المفضّلة، و حين ظننتِ أخيرا أنّ الحزنَ أعظمُ هاجس يضعفني، قهَرَتْكِ ضحكاتي التي لا تنضبْ وملامحي الصَّامدة في وجه التغيرات الشعورية، قرأتِني كتابا من ألف صفحة و شعرتِ بالإذلال حين اكتشافك أنّ قراءتك لم تعدُ الغلافَ المزخرف؛ وأنك ربّما أضعف من رفع هذا الغلافِ الألفيّ لفتحه.

ارتباطك بالأفعال الماضية يَسِمُ اسمك ببعض الحنين المضطرب بخفقات متسارعة لقلبي، يُفعّلها اسمك حين تنادي به أنثى صديقتَها، تَسلّللكِ إلى حاضري؛ لن يعدوَ كونَه هواية مارستِها لسنوات وأحببتُ معرفتي بها، كانت تؤنسني، كنتِ مثالية بشكل لا يصدّق ما جعلني أتمنّى أن تمتهِني هذه الهواية وتفرضي نفسك في واقعي.

عرَفتني في الماضي، لكنّ حاضري يحيّرك، هل أنا النّاسك أم المنحرف أم صاحب رداء الدّين الذي يتناول سيجارا ويستمتع بقول أوّل وسوسة رديئة تخطر بباله؟ ثمّ يزفّها في منظر جميل سائغة للأعين والآذان؛ كمخدّر حقير تنتشينه ويشعرك بالسعادة وأنك جلّ اهتمام الدنيا.

أنا أيتها الأنثى مثلك فعل ماضٍ ترينه في المضارع، يأُخذ سماعيا لا قاعدة تضبطه ولا قانون، لا أُعرَفُ مثلك يا من تشبهين الأفعال الرباعية بالماضي، أنا...أُعرف بما أنا عليه الآن، وعاءُ الحاضر وحدَه يحدّد شكلي، فربّما غدا أكون قاطع طرق بحيّك العتيق؛ وأنحر عنقك.... لخبطات آخر سيجار كوبي!

مجرّد رقم

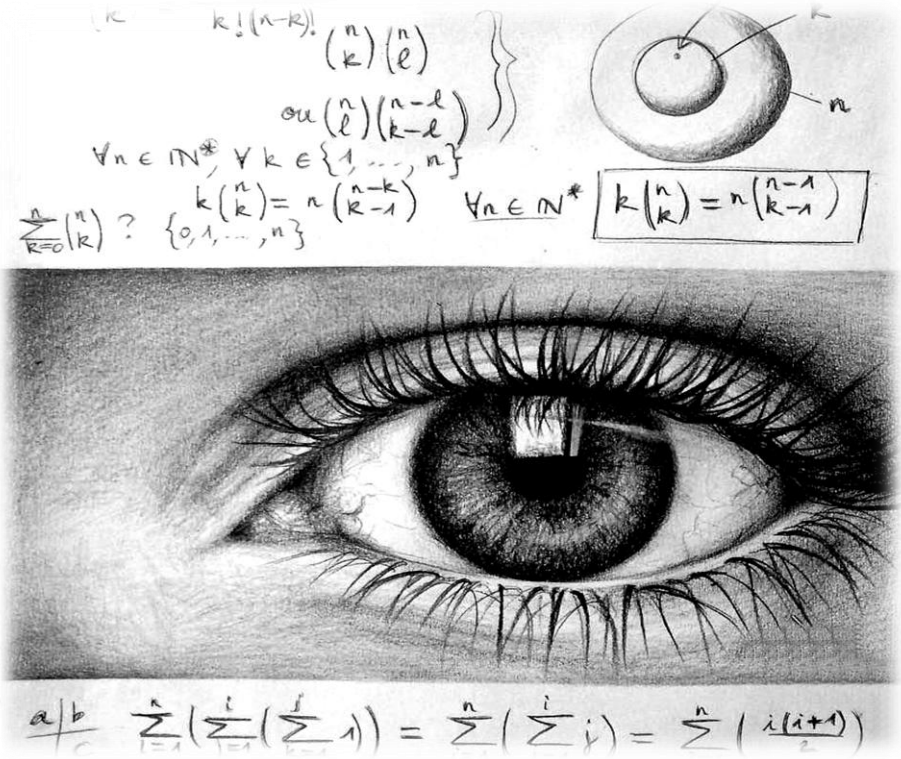

رقمُ هاتفي، أقدم من طلاء غرفتي، أقدم من سجّاد الصالون، أقدم من الأشجار التي غرستها أمام باب المنزل منذ سنوات، أقدم من رُبع كتبي، من نصف أصدقائي ومن كل ثيابي وأحذيتي.

اشتريت هاتفا تلو الهاتف والرّقم ذاته لم يتغيّر، ربّما تساءل بعض الفضوليين ما السبب؟ هل يُعقل أن يكون لكلّ تصرّف سبب؟ كان الأحرى بهؤلاء إن وُجدوا أن يسألوا عن النتيجة، عن جدوى احتفاظي به، قد يخلصون إلى أنّي في انتظار مكالمة شخصٍ ما بعدَ منتصف الليل، يُبلغني فيها بمدى اشتياقه... مضت سنين منذ آخر مرّة.

قد يخلصون إلى أنّ رقمي هو جسر و صلة إلى الماضي، عساه إن شاء زيارتي ذات يومٍ أن يجد طريقا سالكا، ربّما هو بقيّة أمل وحطام ذكرى ودفئ شعلة تحتضر وسط الرّماد... ربّما هو مجرّد رقم كتاريخ ميلادي، أو رقمٍ ناجح في طومبولا أسبوعية، مجرّد رقمٍ كتبهُ صاحبُ المكتبة على خِرقة ورقية قبل أن يبيع القلم.

ربّما هو مجرّد رقم كالصفر السابع بعد المليون، كالرقم الألف بعد الفاصلة لحاصل قسمة عددين أوليين. ربّما هو مجرّد رقم كيوم منسيّ في السّنة و كرقم كتبه مسجونٌ يتطلّع للحريّة، على جدران زنزانته ، مجرّد رقم استنتجه أفوقادرو في ذرّات الفحم ومجرّد تقديرٍ قدّره "كيبلر" لكتلة الغبار الكوني، ربما هو مجرّد رقم كخربشة في دفتري المنفيّ في الدّرج.

هل حقّا ثمتَ سببٌ لاحتفاظي برقم هاتفي؟ أم أنّي لم أنسَ عادتي في الوفاء لكلّ أشيائي؟ لا أشعر أنّي أنتظر اتّصالا من أحد... لعلّه مجرّد رقم صادفني، كمسافر ألبد بقرية، يعِدُ نفسه بالرحيل كلّ يوم لكنّه لم يرحل يوما! لا يشعر بالانتماء ولا بالغربة، هو يفعل ما يفعل لأن ليسَ لديه ما يفعله؛ ولا شيء ينهاه عمّا يفعله. بعض الأمور تستمر فحسب لأن لا شيء يقف في مسارها، كجملة ميكانيكية لا تخضع لأي قوى مؤثرة؛ تمضي في روتينية أو تسكن في صمت.

لا أحد يأبه لرقم هاتفي، ولا حتى أنا آبه لأمره، بالكاد حفظته بفضل عِشرة السنين وبفضل شخص يحتاجني في أمر ضروري ويسألني: "ما رقمُ هاتفِك؟"، مجرّد رقم لم تعد تأبه لأمره فتاةٌ مغرورة في مقتبل العمر، لم تعد تسأل: "ما رقمك؟"، فقد قتل الفايسبوك نشوة هذا السّؤال، لطالما ظننتُ أنّ الفتاة التي تسألني عن رقمي؛ هي فتاة تقليدية راقية، سأدوّنه على كفّها بكلّ سرور وأهمس في أذنها: "لا تتّصلي بي."، لن أرغب في ذلك! فأي فتاة تسألني عن رقمي لن تكون جميلة بالقدر الذي يرضيني، فالجميلات لا يسألن ! الجميلات خجولات! والجميلات يعلمنَ أن رجلا مثلي يتعامل مع الأرقام طول اليوم، هو بالتّأكيد لا يريد فتاة تسأله عن رقم هاتفه ...أو رقم حذائه أو أيا كان! رجل مثلي؛ يريدُ فتاة ثرثارة تجيبُ عن الأسئلة التي يودّ طرحها من دون أن تشعر وأن تعوّض عن وضوحها الروحي بغموض تفكيرها.

رجلٌ مثلي يحب الألغاز؛ ورجل مثلي سيتحاشى أن تكون هذه الجميلة مجرّد رقم في حياته.

حين يقيمون جنازتك

سأغرس في صدرك سجعي فكلما سمعت شعرا أو نثرا تذكرتني

ستتذكرين اسمي كلما بدأت قراءة القرآن وكلما صليت وقرأت الفاتحة، ستتذكرينني

ستتذكرينني كلما سمعت صوتا خشنا

ستذكرينني كلما رأيت قبعة سوداء.

كلما تكلموا عن الرحمة ستتذكرينني

كلما تكلموا عن الجامعة ستتذكرينني

كلما تكلموا عن المسابقات والأمسيات ستتذكرينني

كلما أعلنوا إعلانا أدبيا في التلفاز ستتذكرينني

حتى أنك ستتذكرينني بمجرد سماع الفصحى

سأعيش داخلك ما حييتي و... ستسمعين اسمي حين يقيمون جنازتك وحين يدعون لك بالرحمة.

ماذا أساوي دونك؟"

قلتِها يومها وكنت تبدين في غاية الضياع، بعض الأشخاص حين يتملكون بحياتنا، يصعب علينا تذكّر حياتنا من دونهم، يمكننا تذكّر لحظة دخولهم عالمنا، هو دخول بأثر رجعي... عكسي، كأنّهم كانوا موجودين قبله وما هو إلا مركز تناظر بين زمنين "قبلهم" و "بعدهم".

"ماذا أساوي دونك؟"

أنت تساوين ماضيك، تساوين الشخص الذي كنتِه قبلي مضافا إليه أو منزوعا منه بعض صفاتي وعاداتي.

والآن أسألك بعد أن أصبحتِ دوني: "ماذا تساوين دوني؟"

إلا موضع صفعتك

غرزّوا بها صفعتها لتعود إلى رشدها، أوجعتها، غادرت.

بعد سنتين لاقتنا الصّدف، قلتُ:

"آسف على صفعك آنستي".

قالت:

"لا تعتذر! كلّ شيء يؤلمني الآن إلا موضع صفعتك!"

كيد الرّجال

منذ افترقنا ونحنُ ننحدر... وحين ألتقيك في القاع، ستتبادل الشتائم المحترمة ثم أخرج الورقة التي أحتفظ بها في معطفي الشتوي منذ بضعة أعوام مكتوبا عليها "ما رأيك في العودة معا؟"

إذا رأيتُ منكِ القبول سأتظاهر بالثّبات وأخفي الفلجة التي بين أسناني والتي تبدو جلية حين أضحك من الفرح، وإن رفضتِ أو تردّدتِ بسبب كبريائك الأنثوي، سأخرج الورقة الثانية التي كتبتُ عليها " كنتُ أمزح!"

حيّ لا تموت

أنظر إليكِ، أتأملّك، أنتِ مغرية كقصيدة على وشك النزول في وحيٍ ربّاني... فتاة بروح جميلة جدّا، أخبرها أني لم أحضر معي حلوى لتناول الشاي، فتجيبني:

"رائع! فكثرة السّكر مضرّة بالصحة، سنجعل الشاي أحلى قليلا ".

فتاة عند إحضاري كعكا محلّى في اليوم التّالي، تفرح و ترى أنّ هذا أمر يستدعي السعادة و تسرع بإحضار، الشاي و تستمتع مثلي بنعمة كهذه؛ لقمةً لقمة... فتاة أقصى طموحها منّي يقتصر على اليوم فحسب، تتمنّى أن اصطحبها مساءً في جولة؛ متشبثة بذراعي، و أثناء ذلك، تعلمُ أن ذاك الحذاءَ الذي قالت أنه أعجبها، سأفاجئها به ذات ساعة، لكنّها لا تلزمني بذلك و لا تنتظر ذلك منّي حتّى، فتاة تعيش ليومها مادامت معي... تقول أنّه بعد سنين سيَبلى كل ما ألبستُها ويُنسى طعم ما أطعمتُها، سيتلاشى جسمانا تحت عجلة الزمن، لكن سيبقى قلبها ينبض بي ولي وستحبّني، تقول: "سأحبّك بعدَ أن أموت".

أسألها: "أ من الممكن هذا؟".

فتجيب: "إنّ الله جميل ويحبّ الجمال وحبّي لك أجمل من أن يضيّعه الله لمجرد الانتقال بين عالمين!"

فأقول أنّ ما ألزمُها به؛ هو أن تحبّني بعدَ موتي وتؤنسني بذِكر محاسني ذكرا كثيرا، حينها تطمئنني وتشير إلى قلبها وتقول "أنت! أنت حيٌّ هنا ♥ ...أنت لا تموت!

حالة عدم تعيين

بعض الأحيان...

يكون الحبّ موجودا لكن صعب الاستشعار، كقطعة المستقيم يقولون أنّ لا مساحة لها، لكّنها وقتما رُسمَتْ؛ كان سُمك القلم يُثبتُ العكس، مساحتُها تؤول إلى الصّفر ولا تساويه، تؤول إلى كل القيم الصغيرة لكنّها؛ غير معرفة عند الانعدام.

الحبّ أحيانا حالة من عدم تعيين، لا يُدرِكها إلا الضّالعون في النّهايات!

زهرة في شبرٍ منفيّ

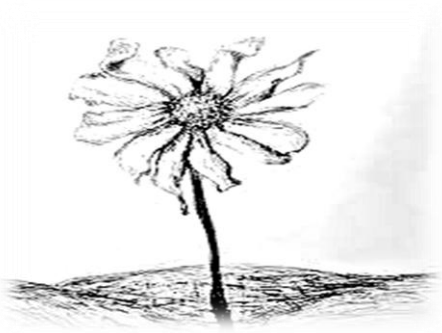

تسأليننني وأنت تعلمين ضعفي الذي اخفيه امام الجميلات امثالك: "اتحبّني؟ أتحبّني كما أحبك؟". لم يصنع قولي لمن هنّ قبلك فارقا، في لحظة ما انتهى كلّ شيء وما عاد لهذه الكلمة من قداسة، صارتْ كذبة مع بضعة تريليونات من وعود وعهود خائبة، كنتُ أفكّر في إنشاء كتاب من ألف صفحة ليضمّ أشهرها، لا تطلبي منّي قول أنّي أحبك، فحبّي ليس بشارة، اسألي إحداهن... هو لعنة ستلاحقك لبضع سنين، أنا شاعر و هذا وحده كافٍ لتفرّي ناجية بفؤادك، أجهل ما يحمل صغيرة جميلة على المخاطرة بالبوح لقلب هرم كقلبي، و لنفسيّة متعبة من سماع نفس الأسطوانة التي يدأب على الاستمتاع بها العاشقون، تبذّرين غيث حنانك على صحراء قيعان لا تدرّ شيئا.

ربوة قرب نهر دافق ما يليق بهذه الزهرة، لا ينبغي لها الموت وحيدة في شبر منسيّ من قلبي.

أكثر براعة

مرميًّا في زاوية من الشّارع، أنظر إلى المارّة ولا أراهم، أسمعهم ولا أنصت إليهم، كنتُ أكتبُ سطورا ثمّ أمحوها وأوّد قول عشرات الكلمات ثم أبتلعها، الفراغ والصّمتُ وحدهما يختصران كلّ الكلمات الراقية والمنحطّة والرّغبات النقية والماجنة والشرّ والطيبة التي تسكنني ولمْ أبح بها... لأنّي غبيّ لا يجيد الكلام أو ذكيّ يجيد الصّمت.

في وقتٍ ما، كنتُ أكثرَ براعة بحيث أمكنني جعل من يقرأ كلماتي يبكي أو يضحك، أو أنّ الجميعَ صار أبرعَ في تجاهل الصّدق الذي تلفظه عيوني إليهم من أوّل النظرات، تبارزني عيونهم، تفتّش في وجهي عن أثر للوسامة وفي جيبي عن أثر للغنى، وفي لباسي عن أمارات الجاه، لم يعد أحد يفتّش في كلماتي عن أثر للدّفئ والطيبة أو في كلماتي عن الفكر والألمعية، وحشٌ اقتحم خلوة الملائكة أو ملاك انعزل عن الوحوش... الوحدةُ تصلح لتعريف كليهما.

قبل أن يُخلق الحبّ؟

بعدك... هِمتُ على وجهي لشهور، قصدت الأماكن التي لم تُدركْها الحضارة، أسامر الشّجر وأحاور الحجر، لعله يبوح لي بالسرّ: "كيف عاش أوَّل رجل قبل أن يُخلق الحبّ؟ وكيف ساءتْ حاله كثيرا بعد ذلك؟".

حينها قد أجِدُ منطِقا يَعكِسه ويُبطله، حينَ أتمكّن من إلغاء صفة المحبة عنكِ لن تؤلميني مجدّدا، إلّا بقدر إيلام هذا الحجر إذا تجرّأ ذات يوم وخدشني، ماذا أهدانا الحبّ أنا وأنت لنحتفل به؟ سأجعل يوم انتهائه عيدا وأؤلّف حوله الأساطير ليصدّقها البلهاء بعد عشرات السنين من اندثارنا من الوجود، قد أكون فيها قدّيسا أو شهيدا أو شريرا أو غبارا منزليا أو نسمة هواء... لا يهمّ ما داموا سيحتفلون بذاك اليوم كما يفعلون الآن، ذكرى الميلاد ليست أحقّ بالتذكر من ذكرى الانتهاء.

ألف طريقة

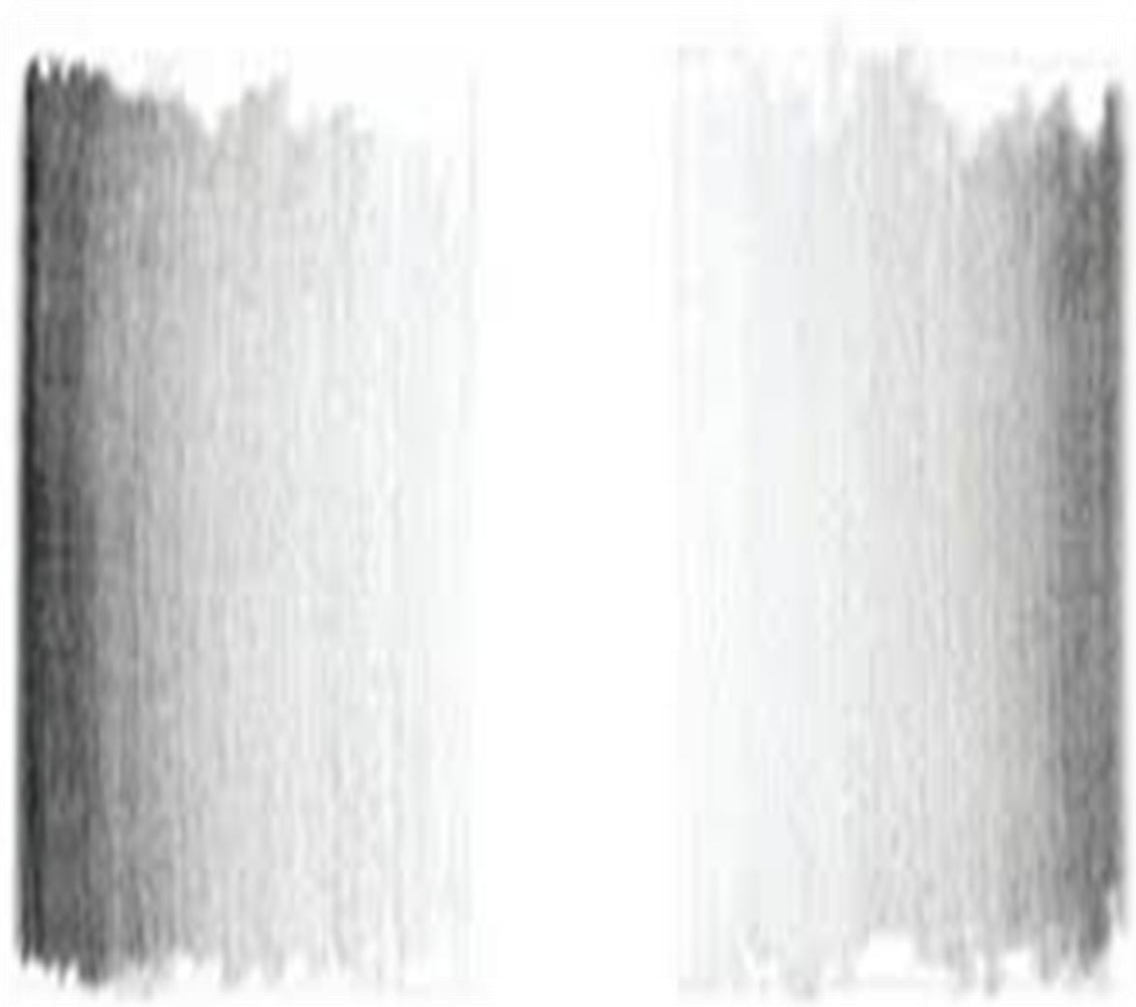

حين تغيب الأجوبة، لا يبقى للأسئلة سبب للحضور، هذا تعريف حضورك بالنّسبة لي وتعريفي في غيابك. يخطئ الجميع في فهمهم للمتناقضات، بحيث أن مصطلح "تناقض" وحده قد يعتبر إساءة لطبيعة العلاقة التي تجمعها، فالظلّ مفهوم أجوف في غياب النّور، أمّا نقيض النّور فهو النّور الذي يسطع في الجهة المقابلة بأشعة متوازية مخالفة في الاتّجاه، نقيضك أنتِ هو الفتاة الأخرى التي تحبّني لكنّها أكثر جرأة وصراحة منكِ، مستعدة للقتال من أجلي لو رددتُ إليها ابتسامتها الصباحية خطأً.

أنا بارع في الحبّ، لديّ أفكار وخطط و.... أستطيع أن أحبّك بألف طريقة، لكنّي عاجز عن تصوير ما أراه لتفهميه، لا يمكن لأحد رأى الجنّة أن يصفَ ما فيها، ولا حتّى من جاب ممراتها واستأنس بنعيمها، لذلك في كلّ مرّة أنقل رؤياي إلى إحداهنّ بشغف، نصل إلى مرحلة لّا تفاهم شديد، بحيث تتحول كل الأمور الجميلة التي أُخبرها إلى ألغاز، وينتهي بي الأمر في كلّ مرّة إلى اعتباري شخصا غامضا مستحيل الفهم، ولغزا مستعصيا غير مأمون العواقب، أو اعتبارهنّ غبيّات وغير قابلات للانسجام وتكوين وحدة عائلية لاحقا.

نقطة

ماذا لو أنهينا كل شيء بنقطة بدل وضع عشرات الفواصل؟

ماذا لو وضعناها وسطَ السّطر فحسب، ثم ادّعينا أننا وضعناها خطأً؟

ماذا لو ادّعينا أن النقطة هي فاصلة، غير أنها أبدية، هل يهوّن علينا هذا وضعَها؟

أتعلمين؟ فلنغمض أعيننا ولنضعها بسرعة وبدون تفكير، ولْنأمل أنّنا وضعناها في المكان الصحيح الذي ينهي كلّ شيء.

من سمح لك؟!

قلت خذوني إليها... ولأنّهم رفضوا، لم تعدْ على الدنيا أرضٌ تقبلني، كل البقاع تطردني، الحب يرفضني والغضب يوقدني، لا لباس على مقاسي ولا مقاس لهمّي بك... وفي محاولة ألفيّة، أقفز من بلد إلى بلد، تشمئزّ العذارى من عبثي، خائلات أنّي أتهادى مخمورا بينهنّ، فتسألني إحداهن بغضب: " عمّ تبحث انت؟" فأجيب: "عن نفسي!" فترأف بحالي وتجالسني إلى أن أكتفي من شفقتها وأرحل، خرجت باحثا عنكِ وضِعتُ أثناء ذلك، من حينها أهيم هكذا و لا أتذكّر طريق الرجوع، أحاول طلب المساعدة، لكنّي أتذكّر أنّ لا أحد يعرفني حقّا، لطالما عاشت ذاتي الحقيقيّة في عزلة عن الجميع، احتفظتُ بها ليوم أحرّرها من أجلك، يبدو أنها فضّلت البقاء معك في النهاية، هنيئا لك، لا أحد يستطيع مساعدتي الآن! كم سخرتُ من سؤال الفلاسفة :"من أنا؟"، لمْ يكن سؤالا عبثيّا، لأن هنالك من فقد نفسه قبلي... مشرّد من حينها أنا بين الأقدار، تسير الحياة بشكل رتيب إلى أن يقتحمها أحمق ما، فيخرّبها بجماله، يسقيك من رحيق الجنة، ثم يحرمك منه، فتعيش إلى الأبد مشتاقا لمجرّد قطرة... لمجرد لحظة! من سمح لك باقتحامي؟ خواطر مسافر في أول الطريق.

نقطة أوسع من قلب!

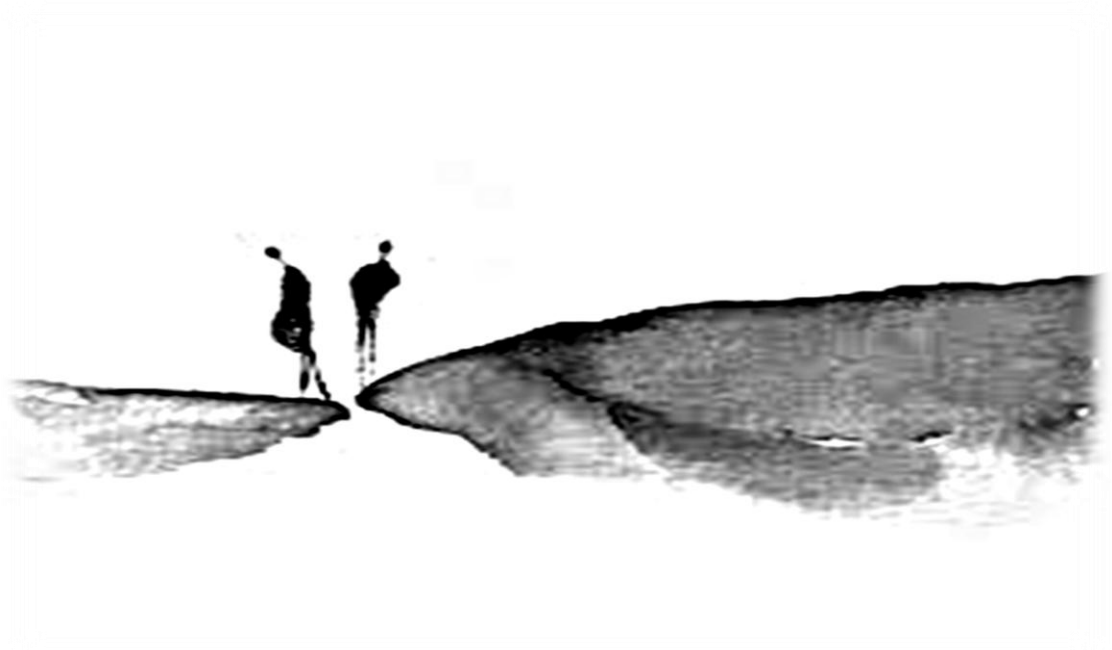

ألف نقطة فوق بعضها وكلّ واحدة منها كيان مستقلّ، أناديك: "حبيبتي" مئة مرّة وأعنيها في كلّ مرّة منها، الحبّ يجعلنا نبصر بقلوب من نحبّهم فنُزيّن تصرفاتنا وكلماتنا ونعدّلها على مزاجهم، لكن عدم إيجاد التقدير الكافي منهم يجعل ما نقدّمه من أجلهم عملا روتينيا، وحين اقتناعنا من أنّهم حقّا لا يجدون فرقا في ذلك، تصبح كلّ مجهوداتنا من أجلهم حماقة نتوب منها فحسب، ألف نقطة فوق بعضها ولا زالت تجد مكانا من أجل المزيد، في حين أنّ قلبين لم يسعهما أن يجتمعا، ترى النقطة أوسع من القلب؟ أم أنّ بعض القلوب لم تعدْ تعدُو كونها كائنا أدنى من أن يكون مجرّد نقطة؟

ثم رحلوا

شكرا على الماضي وعذرا على ما آلت إليه الأمور.

الفراق حقّ وتخليد الذكرى واجب

ومعروف الغير فينا لا يُنسى

ومعروفنا في الغير خير احتسبناه

والخطأ الأخير زلة تغتفر

وأثرها فراق لا يُمحى.

والتحية بيننا منّ وتفضّل.

والصمت بلاغة وحياد.

والنظرة عداء أو ودّ.

والتّجاهل تهرب أو استفزاز.

فلننس هذه الجثث والأرواح ولنخلّد ذكرى أشخاص عيناهم لبعضنا ذات يوم ثم... رحلوا.

الرفاهية

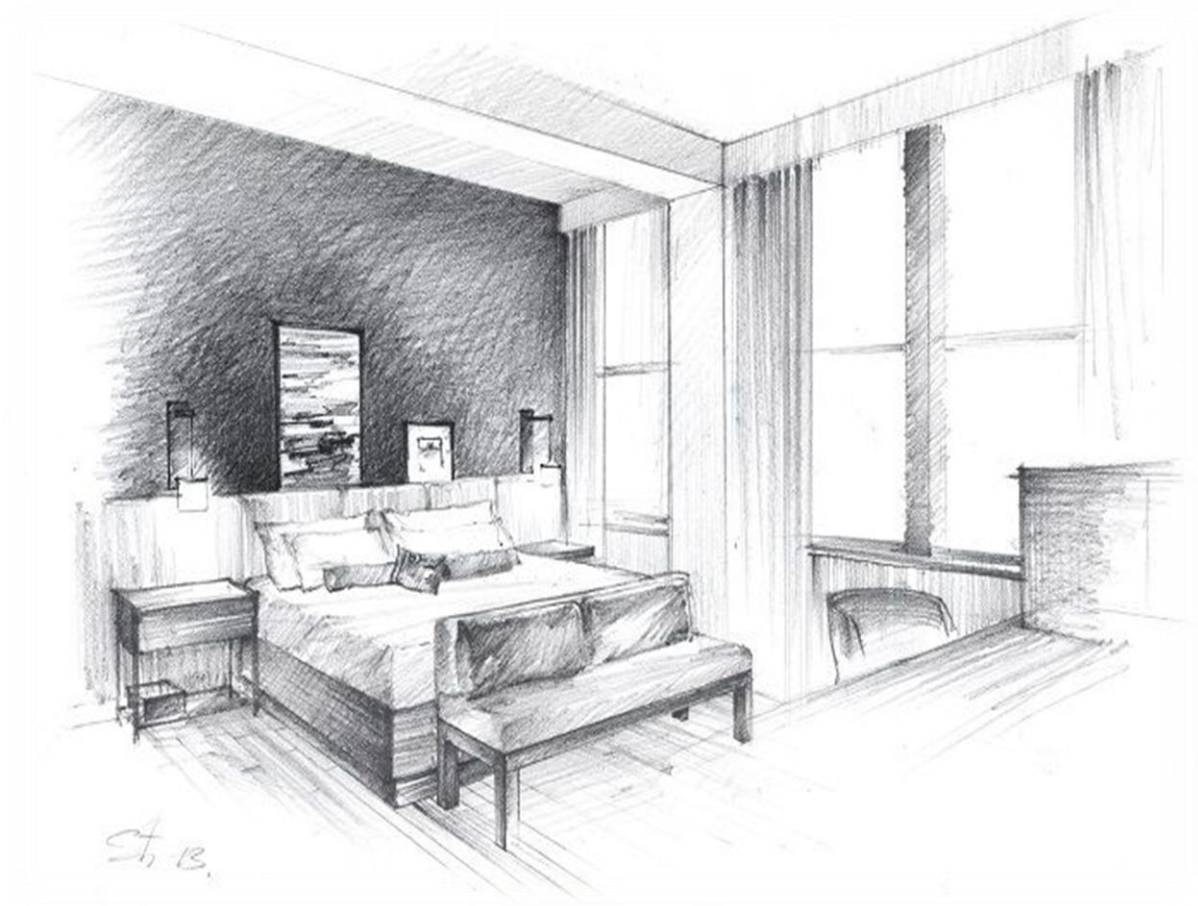

بعض الأشياء لن تكون سعيدا بها ولا تعيسا بدونها، تماما كمشروب غازي مع طبقك المفضّل، أو كصورة إضافية يلتقطها لك صديق في مكان تحبّه، لعلّ ذاك ما يسمّونه رفاهية، المفهوم الذي اختفى من مفردات قاموسي حين أصبحتُ أفكّر في كلّ شيء، فالرفاهية بالنسبة لي تحوّرت لتصبح درجة من درجات السعادة، فأنا أحفل مثلا بمشروبي الغازي إذا وُجد حين تناولي طبقي المفضّل، إنّه لنعمة أنّي أعيش هذه اللحظة، لحظة زاد فيها شيء أحبه إضافة إلى أحبائي: عائلة ودفئ وصحة وهواء وتلفاز وحاسوب.... ومشروب غازي، الرفاهية هي حتما درجة أسمى من السعادة وهي مثلا، كلمة طيبة من شخص غريب تصيب صميمك وتجعل يومك سعيدا، مشرقا وتملؤك تفاؤلا.

أشعر بالمرض اليومَ ولن أذهبَ إلى العمل... إنّها الرفاهية بالنسبة لتلاميذي!

شخص أراد كلّ شيء

كلماتي إليك علنا، شجاعة كبيرة منّي، فهنّ يجهلن من أنت ويغرنَ من تشبّث ماضيك بحاضرهنّ، فقد تصيبك دعوة إحداهنّ فتفتك بك، لذلك تحاشيت نشر الكلمات يوم الجمعة، لا زلتُ مسلِما رغم تراكم زلّات وحماقات السنين.

حقيقتي هي ما أوقن به داخلي لا ما ترينه، لا داعي لأن تَظهري ذات شتاء بارد لتلفحيني بدفء الذّكريات وتذكّريني كم كانتْ تغتال هدوءَك هيبَتي، وكيف كنتِ ترينَني بهيئة رجل مستقبلي عظيم. حاولت حقا -إكراما لظنك بي-بلوغ هذه العظمة، لكنْ بعد انقضاءِ رُبع قرن من حياتي، أقف محتارا... معنى العظمة؟ هل هي البساطة أم شهادة أكاديمية أم المال أم هي مسابقة شعريّة أفوز بها من أجلك؟ إنَّ تفرُّقَ روحي في عدّة اتجاهات لم يُمَكِنِّي من المضيّ في أيّ منها، كما أن اختفاءك لم يساعدني كثيرا، أعرف أشخاصا لم يمتلكوا أيّ مواهب، لكنهم اختاروا سبيلا وانطلقوا فيه والهتافات من ورائهم تشجّعهم، هذا الفرق بين الناجحين وبين فاشل مثلي وبين مشجّعين مثلهم و قاتلة مثلك، ستضحكين لو أخبرتك أنّ بعض الحمقى مثلي ومن بينهم أصدقاء و أقرباء، يرون أنّي شخص ناجح ومهيب، وبعض الغرباء يروننني متكبّرا

مغرورا بما لديّ و أنا أتساءل، ماذا لديّ؟ لديّ حياة مستقرة وبضع شهادات، وهي أمور تنطبق على أربعة أخماس المجتمع، أمّا ذكائي فأبشّرك أني لم أفعل به شيئا غير حل الألغاز وتبسيط شرح الأمور لتلاميذي، لم أخترع به ما يسرُّ البشرية كما توقّعتِ منّي، أنتِ وبضع عشرات غيرك، هل ما زلتِ تظنّين أنّي ناجح بعد هذه السنوات؟ هل لا تزالين تظنّين أن داخل قلبي كنزا نادرا؟ لو وقفتُ أمامك الآن هل سأبقى مثَلك في الحياة؟ لا يزال البعض يرونني كذلك ولستُ أدري إلى متى، يبدو أنّي كنت في حياتك وحياتهم خدعة جميلة... سأخيّبهم ذات يوم على الأرجح، أمّا عنّي فلم أجد عظمتي إلا في التسامح مع الطيور الظمأى وإنقاذ الذّباب من الغرق و ابتسامة أهديها لمجهول، لو تعلمين كم أنّ ذاك الذي كان مثَلك في الحياة، أصبح شخصا تافها يلقي الفكاهة و يكتب الحِكم و يسافر وحيدا، صديقٌ للكلّ ولا أصدقاء له، يبدو أنّ الأشخاص يحومون بعيدا حول حقيقتهم لكنّهم في الأخير يغدون يشبهونها أكثر فأكثر وباحتراف، أنا لستُ كما تفكّرين بي الآن، شخصٌ لا يعرف ما يريد، أنا في الحقيقة شخص أراد كلّ شيء، ولم يقتنع بفكرة التنازل يوما!

أفضل خيار

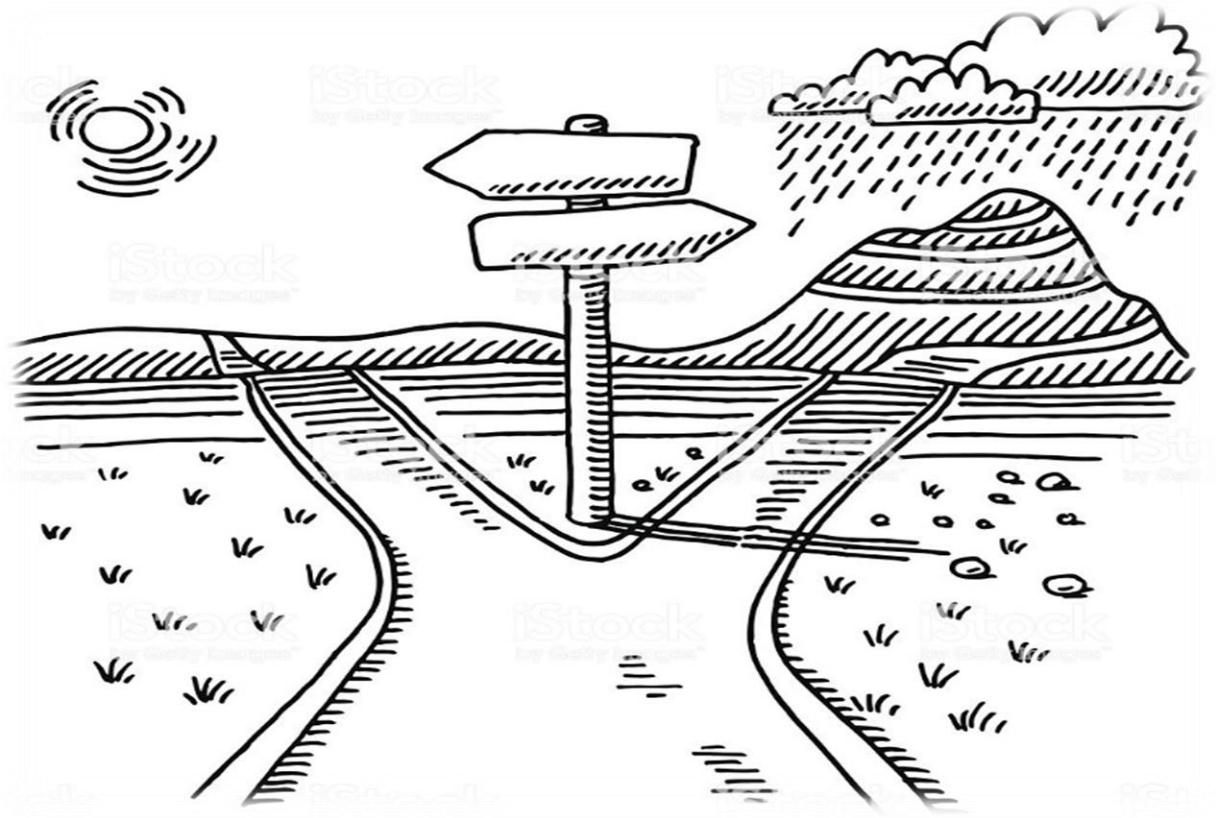

مرّت سنين تتجاذبني فيها صفاتي وتتنازعني، الجديدة تتوق إليّ والقديمة تحنّ لزمننا وبينهما أنا أعطي أحكاما غير رزينة، لا رجحان في أحكامي ولا صواب يُحتمل في قراراتي.

في إحدى السنوات التي اكتسبت فيها صفاتي الجديدة قلت: "الإنسان يتغيّر" و لا زال حكمي قائما إلى أن دار الحول و عدتُ إلى نفسي القديمة بحكمتها ونظرتها الثاقبة كما ظننتُ حين عودتي إليها و قلت: "الإنسان أبدا لا يتغيّر!"، من المخيف أن تُمضي ربع أو نصف حياتك تسعى وبعد قطعك كل هذه الأميال توقن أنّك لمْ تعدُ مجرّد تأرجحك بين نقطتين متباينتين، كسعيك أشواطا بين الصّفا والمروة، أو كدالة مثلثّية أبدية أزلية لا يتجاوز ارتفاعها قيمتها المعروفة، تَفنى حياتُك لتصل إلى أمرٍ كنت تعلَمه مسبقا، لكنّك محتارٌ بشأنه هل إن كان صوابا، كمُقبل لا محالة على الموتِ ويسأل إن كان الموتُ مؤلما، و كأنّ لديه خيارا آخر، ويخلص أخيرا إلى أنه لتجنّب ألم الموت عليه الانتحار!

ما بدا واضحا كأفضل خيارٍ ذات يوم، لم يعد يبدو كذلك في عتمة السنين وتراكم التّجارب فوقه، وتذوّق الآراء واستراق الأفكار، فبعد امتلاك رصيد من كلّ شيء تخلص إلى أن هذا الرصيد قبل اكتماله، هو ما أعماك عمّا كان حقّا أفضل خيارٍ لك.

أفضل خيار هو ما يشعرك بالرضا، يُرضي قناعاتك واعتقادك وإيمانك وطموحك أو أهدافك، أفضل خيار يبقى بجانبك إلى غاية أجله أو أجلك أو تخلّيك عنه كخيار أفضل.

الحد الفاصل

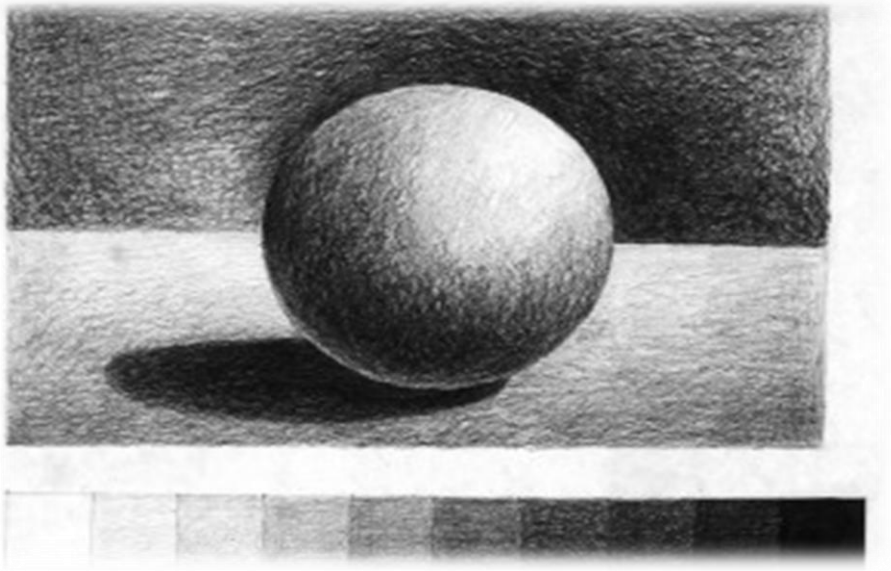

قبل قليل كنتُ نائما، غلبني النّعاس هنا ومكيّف الهواء مشتغل في الغرفة الأخرى... لم يكنْ ثمتَ من فرق، كان استغراقي في النّوم بنفس الطّريقة والعمق حتّى أنّي لمْ أشتكِ من غياب البرودة المعتادة.

للتوّ تحسّستُ ارتفاع درجة الحرارة من دون المرور بفاصل... هكذا فجأة! غريبٌ كيف نمرّ بالمتناقضات بهذه اللامبالاة والغفلة؛ حتّى أنّي أشكُّ الآن في كونها متناقضات، كنتُ وددتُ أن أجلس إلى ضوء الشمس والنّظر إلى بداية الظلّ هناك ثم أتساءل: "أين هو الخطّ الفاصل؟ كيف هو شكله؟ هل ينتمي إلى الظلّ أم إلى الضياء؟" سيكون من الصّادم ألّا يكون موجودا أصلا؛ أن تكونَ بداية الظلّ هي مجرّد درجة من درجات الضّوء المتلاشي، هل فكّرت في أنّه لو اجتمعت أنت وأصدقاؤك على البداية، ستختلفون في تحديدها ببضعة ميليمترات أو سنتيميترات؟ تمنّيت لو أحدّد ذلك الحدَّ الفاصل بين البرودة والحرارة، بكم يقدّر؟ هل هو موجود حقّا؟ اتّفقّ النّاس على أن الجوّ حارّ بعد حدّ ما، لكنْ هم أنفسهم لا يعرفون بكم يقدّر هذا الحدّ!

تمنّيت أن أحدِّدَ تلك اللّحظة الّتي تفصلُ بين السُّكونِ والحركة والحاضر والماضي والمستقبل، هل حقّا يوجد حاضر؟ فكلُّ شيء تقوم به الآن سيصير فورا ماضيا، وإذا لم تقمْ به فهو مستقبل، سيكون مدهشا أن تكتشف أنّه لا وجود للحاضر فحتى الحرف الذي أكتبه الآن صار للتوّ من الماضي! أظنّ أنه لا وجودَ للحدودِ بين المتناقضات، بل نقيضُ الشَّيء هو نفسه، فأنتَ حينَ ترى وجه عُملة معدنية سيرى غيرك الوجه الآخر، الوجهان هما الوجهُ نفسهُ من وِجهتيْ نظرٍ مختلفتين، بل هنالك حتّى من يقابلك و يقرأ 6 على أنّها 9 وتصير بهذا لدينا ثلاثُ وجهاتِ نظرٍ، في حقيقة الأمر، قطعة النّقود على بساطتها وحقارتها، وحدَها تحتمل ملايين وجهات النّظر، كأنْ يراها أحدهم دائرية والثّاني بيضوية والثّالث صغيرة والرّابع أكبر بقليل والخامس أكبر من الرابع... زاوية النّظر والبُعد وحساسيّة العينِ للطّيف اللّوني... كلّها تشكّل عوامل لعدّة حوادث احتمالية.

الحدود التي وضعناها إمّا ورثناها نقلا، أو بنيناها على أساس تجارب شخصية أو استنتجناها من تجارب الغير، أو وُضِعت فينا غريزيّا لإرشادنا لشيء ما، لكن ذلك لا يعني أنها حقا موجودة، السكون هو الحركة والحاضر هو الماضي والظل هو الضوء...

قشة فوق الجرف

سألتني: "الحبّ قد يجعل الإنسان يفسد حياته؟"، لم أفكّر كثيرا في السؤال، لكن فكّرت: "فيما تفكّر؟". نحن لا نُحبّ حقّا، نحن نسمحُ لأنفسنا بحبّ شخص ما، كما يمكننا إيقاف القشة المتدحرجة من أعلى الجرف قبل أن تصبح كومة ضخمة بعد ساعات من الحريّة العابثة، من السّهل أن نعمى عن ذلك في البدايات حين نُوهمِ أنفسنا أنّ القلبَ سلطان، ونتجاهل حقيقة أنّنا من نمنحه السّلطة أو نمنعه إياها قبل كلّ شيء، لكن يوما بعد يوم، تنال منّا الغريزة البشرية في التجريب والاستكشاف، حين نجرّب إيقاف سيل الإعجاب بشخص ما عند حدود الإعجاب، وإقناع الذّات أن لا أمل بالمزيد، وباستحالة نيل المحبوب... ثمّ ينجح الأمر و تستقرّ النظرة و يستقر الشعور على ذلك.

بعدها نتعلّم وضع كلّ من ليسوا لنا يقينا؛ في تلك الحدود أين تكون القشة مجرّد قشة فوق الجرف، واضعين رحيلهم كأمر محتمل الحدوث... بعد الاعتياد والتمرّس وبعد أن نصبح جزءا من هذا الفكر، ننتقل إلى درجة أعلى، نصبح فيها نحنُ المستعدّين للرّحيل والتخلّي عن الأشخاص الذين لسنا مقتنعين أنّهم لنا، هي قصّة تبدأ بالحب كسلطان متغلب وتنتهي بالحبّ كعبد مغلوب، تبدأ برحيل شخص عنك وتنتهي برحيلك عن الكل!

"تحكيم القلب والانجراف يجعلان الإنسان يفسد حياته آنستي!".

لمن أعتذر؟

حاولنا أن نكون بخير قدر الإمكان، نريد أن نعتذر لشخص ما كي نشعر بالإرتياح لكن لا نجد لمن نعتذر، كأننا أذنبنا في حقّ اللاوجود الذي كان من الممكن أن نكونه.

ما باليد حيلة فنحن موجودون الآن ولا سبيل لتحقيق كينونتنا معا، لكنْ بوسعنا أن نعِد بترك الحيز الزّمكاني الذي شغلناه ملطّخا بذكرياتنا إلى أمد، سيتطلّب محوُها بضعة عقود وسيتطلب محوها اندثار القلوب التي تحفظُها، ما يعني استمراريَّتنا ككتلة متلاشية رياضيّا عندَ ما لا نهاية، لكنّها مستمرة إلى الأبد من المنظور الفيزيائي وما يعني كذلك اعتذارا فاشلا.

.تخيّل أنك محروم من التذلّل و الشعور بالخلاص و تنظر إلى وقوف الأنا الحسيّة في دهليز لامتناهٍ يقود إلى اللاوجود الذي تنشده، حتّى أنها قد لا تعرفه حين تصادفه، رتابة الحياة أمر شاذّ، لذلك تزعجنا السعادة المستمرّة المترتبة عن نفس الأسباب، إنّه الوقت الأنسب لتهيّج مشاعر الملل والحزن، حتميّة كسر الرتابة ستأتي على أشكال مختلفة، مرض أو حادث أو إخفاق... عند مواجهتها تكون الدنيا أتفه ما كانت يوما، سنتجاوز بخيالنا اللحظة إلى المستقبل أين سنكون بخير من جديد، بعدها بشهور أو سنوات سنعيد الحكاية لتَدارُسِ تفاصيلها وتذكّر كيف أنها كانت صعبة، محاولين إحياء التراجيديا لا لذاتها بل لأنها ترتبط بالأشياء المميزة بالنّسبة لنا والتي فقدناها.

الظلام وأنتِ

في محاولة ألفيّة للخروج من الظلّ، أبتاع قميصا فاتحا، قريبا من درجة لون عينيك، أغازل شعاع الشمس الحارق لأغيظ الظلّ المنحسر عن مناطق نفوذه لصالح آذار، كثيرا ما وجدتُ منفذا للخروج منه لكنّي لم أفلح يوما في إدراك ثغرة لإخراجه من داخلي، الألوان الدّاكنة والصّمتُ المضجِر والنظرات الجامدة، ليست إلا ألوانا غير كافية لتغطية الطّيف اللّوني المنعكس عن ظلام دامس استوطنني منذ الأزل.

هل حاولتِ يوما تغطية خدش صغير على وجنتكِ، وبعد أن فعلتِ صار الكلّ قادرا على ملاحظته؟ لا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة لي، قد أثرثر لكسر الصّمت وأغضّ لإنكار التوتّر وأتحرّك لقتل السكون، وبدَل توضيح غموضي، أصبح غامضا بوضوح! حين يتصرّف الغريبُ بطريقة طبيعيّة سيبدو غريبا على كلّ حال. خطوة عشوائية جديدة أتّخذها، لإتمام لوحة متشابكة من الأحداث و الظواهر المتناثرة وفق تسلل زمني أو توافق لحظي، ناتج عن التّكرار و التّراكم وفي النهاية، يتّضح قاسم وحيد يجعل كل شيء منطقيّا، خوارزميات أبدعها القدر و سطرها الزمان و احتضنها المكان و مثلناها بإتقان، بُنيت لتجعلنا نقيضَين، أنتِ الّتي كنتِ دائما واضحة بشكل غامض، كالماء الصافي في اليوم المشرق، عيناك منفذٌ سالكٌ لروحك ومسرحٌ خصبٌ لتناسخ الجمال، بحرٌ بلا موج و شِعرٌ بلا حروف، نظراتك دافئة وابتسامتك حين انكساري برهان أنّك كسرة حاءِ الحبِّ، وبسمتك عند فرحي، ضمّة فوقه وضمّتك... فتح لقلبي مبين.

عالم مليء بك

كنتُ متكاملا سائرا بين الظّلال؛ واكتشفتني في رواقٍ مزدحم بالفارغين، نظرنا إلى بعضٍ وبدوتِ شبيهة بالنّقص الذي ينقصني.

منذ صغري لم أتحرّش بفتاة، خجلي يمنعني من مبادرة مجهولة بالحديث حتّى، ما كنتُ لأكلّمك، نظرتُ إليك أطول ما يُمكن؛ محاولا حفظ ملامِحك في مكان سحيق، في الفيزياء، السَّير بسرعة خارقة يجعل الزمن يتوقّف، كنتُ محتارا بين زيادة سرعتي لإبطاء الزمن لبضعة أجزاء من المليار، و إبطاء حركتي لكي أحظَى بمزيد من تفاصيلك وتفرّس بعض صفاتك: "عيناها فاتحتان ليست من المنطقة، تتأنّق ماسحة حاجبيها لتشدّهما وتعدّل ثيابها، هي تحاول أن تظهر بأفضل ما يمكن أمامي أو للشخص الذي خلفي ربما، ارتبَكتْ خطواتها بسبب زيادة سرعة خفقات قلبها، ستقضي بضع ثوانٍ حتّى يتناسق نبضها وخطواتها، هل قالت: "أحم"؟ لمَ تختبر حنجرتها؟ ربما تريد الحديث مع شخص مهم بالنّسبة

لها"، فجأة سألتِني، كنتُ توقّعت ذلك لكن... تفاجأتُ بشدةٍ، بدوتِ غبيّة بذاك السّؤال، ابتسمتُ ولم تغضبي، ابتسمتِ لي، سؤالُك كان للسّؤال فحسب، نظرنا إلى بعضنا وقلتِ: "لمَ تبتسم؟" فقلتُ: "أبتسم للأشياء التي تسعدني!".

حينها انكسرتْ كلّ الحواجز بيننا وقلتِ ضاحكة في غاية السّعادة: "وهل أسعدك؟" نظرتُ رافعا حاجبي الأيسر: " يُسعدني إسعادك..."، نسيتِ أن تُعرِّفي بنفسك ونسيتُ أن أطلب ذلك ونسينا السؤال.

اشتققتِ الدّفئ من برودي ثمّ الحبّ من ذاك الدّفئ، لقاؤُنا كان نقطة انعطاف لموقفي من الجميلات. كانتْ رجولتي طاغية وكانتْ أنوثتك تهمي قطرة قطرة.

بعدَ سنينٍ من احتمال طغيان حبّك وغيرتك وتملّكك، بلغ الأمرُ حدّا لا يُحتمل، وصلنا إلى نقطة التوازن وكنتُ مُجِدّا خلال تفاعلنا الذي طال أمده، اختفيتُ فجأة! تركتكِ لعالمٍ مليء بك، صرتِ مثلي قبل أن ألقاك متكاملة وأنا النّقص الذي ينقصك، ستدركين ذات يوم أنّك تافهة حين تقتربين من الكمال.

بفضل رؤية نفسي من خلالك، تعلّمتُ أن أكون عاقلا لكن مَرحا وبسيطا وبشوشا، هؤلاء الذين يحبّونك الآن، يمجّدون صنعي وإبداعي، يمجّدون العدوى التي نقلتها إليك، لّما التقينا بعدَ كلّ هذا الزمن، نظرتِ إلى الجهة الأخرى، أما زلتِ تهتمّين لأمري لحدّ التجاهل؟ انظري إلى حالك كم صرتِ كاذبة حتى مع نفسك، قارني بين أوّل مَرّة وآخر مَرّة، كنتُ سأحيّيك بكل أدب، أنا... توقّفت عن كوني الفارس الغامض، أعيش الآن أحسن نسخة منّي.

لمَ يحرسونك مني؟

بعد عدّة مواعيد فاشلة للّقاء، التقينا بلا موعدٍ صدفة، لو كنتُ أعلم بإمكانية لقائنا، كنتُ ارتديتُ ملابسي الأنيقة الّتي تركُد في خزانتي منذ دهر في انتظار موعد سعيد جدّا كهذا، وكنت وضعت على ثوبي بضع بخّات من عطري الكلاسيكي الذي يُذكي صفة الغموض التي تلازمني.

وها أنت أمامي بلا زينة ولا تبرّج، أحبُّ رؤيتك هكذا، طبعا أنتِ لم تنسي وضع كحل الأعين، لا أدري هل تضعينه وفاء لي، لعلمك أني أحبّه، أم لأنّك اعتدتِ على وضعه من أجلي وأصبحت صفةً لصيقة بك.

هم لم يسمحوا لنا أن نكون معا ولن يسمحوا بذلك مستقبلا، أريد منك أن تسمعي همسة القدر وإيماءَته إلينا، منذ قليل قال: "جعلتكما الآن تلتقيان وقد أغير كلّ ظنونكما اليائسة!"، تبدين أميرة تمشي تحت الحراسة المشددة، لكن لمَ يحرسونك منّي إن كنتِ أميرتي؟ أليس من المفترض أن يحرسوك من أجلي؟ أم أنّهم يفعلون ذلك (وهم لا يشعرون)؟ آسف لأنّك تريننني بهذا المظهر، أنا مرهق بشدّة لقلّة نومي معظم الأيّام، هل تجدينني وسيما مثلما كنتّ تريننني سابقا، أنا بعدَ كلّ الأسئلة التي تغمرنا حين نتسامر، لم أسألك لمَ تحبينني؟ ما الذي جذبك إليّ؟ لأكون صريحا، بداية كنتِ مجرّد جميلة من تلك اللّائي يعجبنني، لكنّي تورّطت بخفة روحك بعدها، لم تكوني يوما مشروعا لتحسين النّسل... على كلٍّ يرضيني أن تتّسع عيناك عند رؤيتي وأنْ تُشِعّا بذاك البريق الطفوليّ الآسر، حين أرى نفسي فيهما أشعر أني الأغنى والأوسم والأفضل!

نظرات إلى لّا شيء

قصّتي... قصّتنا أنا وأنت تطربُ كلّ من يسمعها ووحدنا تُشعرنا بالحزن، وتلقي بنا إلى مطبّات من الشجن الغامر وتحيي فينا الجراح التي لم يُجْدِها بلسم الليل والنهار وتداول السّاعات عليها.

أحاول أن أمضي يومي خاليا منكِ؛ عبثا أحاول، إلى أن أرَى إحداهنّ فتسرقني الذّكريات إليك، كلّهنّ يشبهنك ولا تشبهين أيّا منهنّ.

كان البرد قارسا كبرودة قلبي بعدك، وكبرودة نظراتي الفارغة إلى لّا شيء، أمشي رفقة صديقي وأتعثر أحيانا بأشياء لا قيمة لها، حجر ناتئٌ من الأرض مثلا، أنظر إليه لأردّ التحية وأقول: "ما أسعدني بلقائك صديقي!"، نتبادل-أنا والحجر-نظرة الاحترام والمودّة ذاتها وأمضي في سبيلي...

بجانبي صديقي يعدّ عدد عثراتي، يقول أنّي في تحسّن مستمر؛ فاليوم تعثرت سبع مرّات فقط، أي أقلّ من الأسبوع الماضي بعثرتين، "إنّها تنظر إليك لا بدّ أنها تعرفك!"، أرفع رأسي على مضض وأنظر لعلّها تكون أنت لكن هيهات، فأضحك حينها لسخافة ظنوني وألتفت إليه ممازحا: " شفت؟ قلتلك أنا ساحر!"... حوار روتيني.

أنا لم أحسب عدد الوجوه التي تعجبني حين أسير، أحيانا أوزّع ابتساماتي العريضة على المارّة: " دعنا نكسب بعض الحسنات"، أقولها لصديقي تحسّبا، قبل أن يسألني: " لمَ تبتسمَ وحدك كالمجنون؟"

رحيلك ترك فراغا عظيما لم يشغلني عن بعضه؛ إلّا تسخيره لحبّ الناس، هذا سرّ قدرتي الكبيرة على حبّ غيري، أنا أحبهم من أجلي، لأشعر أني على قيد الحياة، وبفضلك هم بالنّسبة لي من هم الآن، لا ما هم عليه.

لا تموتي

بعدَ أن يئستِ من كوننا معا، قلتِ لي: "سوف أموت"

أجبتك: " وأنا كذلك... ذات يوم"

لكنّكِ أخبرتني أنك قرّرتِ أن تموتي لتؤلميني، تأملتُ عينيك المغرورقتين بالألم، الغارقتين في الإصرار ولم يكن من الصّعب على أيّ غبيّ، أن يُدرك أنّك يائسة جدّا، أنّك تحتَ تخدير الشّجون وأنّك قرّرت ارتكاب حماقة ما، نظرتُ إليك بتلك النّظرة التي قلتِ أنّك تحبّينهاّ وكدتُ أقسم أني رأيتُ الربيع يُزهر في محيّاك حينها... هل هذا ما يسمّونه الأمل؟، لأوّل مرّة أرى شخصا يرسمُ الأمل وبهذا الإتقان! كم أنت جميلة حين ترتجلين! ... سألتك: " وماذا بعد الألم؟"

مسحتِ القطْرَ الذي تخلّل رموشك وأعدمته قبل أن ينهمر على تورّد خدّك، ثمّ أجابتْ نظرَتُكِ عنكِ تطالبني بالتخلّي عن غموضي لمرّة واحدة... تبّا، عيناك جميلتان بحقّ! ... سألتك من جديد: " تريدين أن أتألم

بشدّة؟"، أجبتِ بإيماءة صبيانية برأسك تهزينه صعودا ونزولا... قلتُ: " إن متِّ قد أتألّم مطوّلا، لكن في النّهاية سأنسى."

قلتِ: "ستنساني؟"

أجبت متداركا: " سأنسى ألَمَك "

لا بُدَّ أنك فكّرتِ: " ما الذي يمكنني فعله أكثر من الموت؟ هل أقتله؟"، قاطعتُ شرودك اللّحظي وسألت من جديد: " تريدين أن تؤلميني طويلا؟"

قلتِ: " بقدر حبّي لك... نعم."

وضعتُ قبلة على جبينك وغرستُ نظرتي في بؤبئك وقلتُ: " إذا لا تموتي!".

الزجاج المكسور

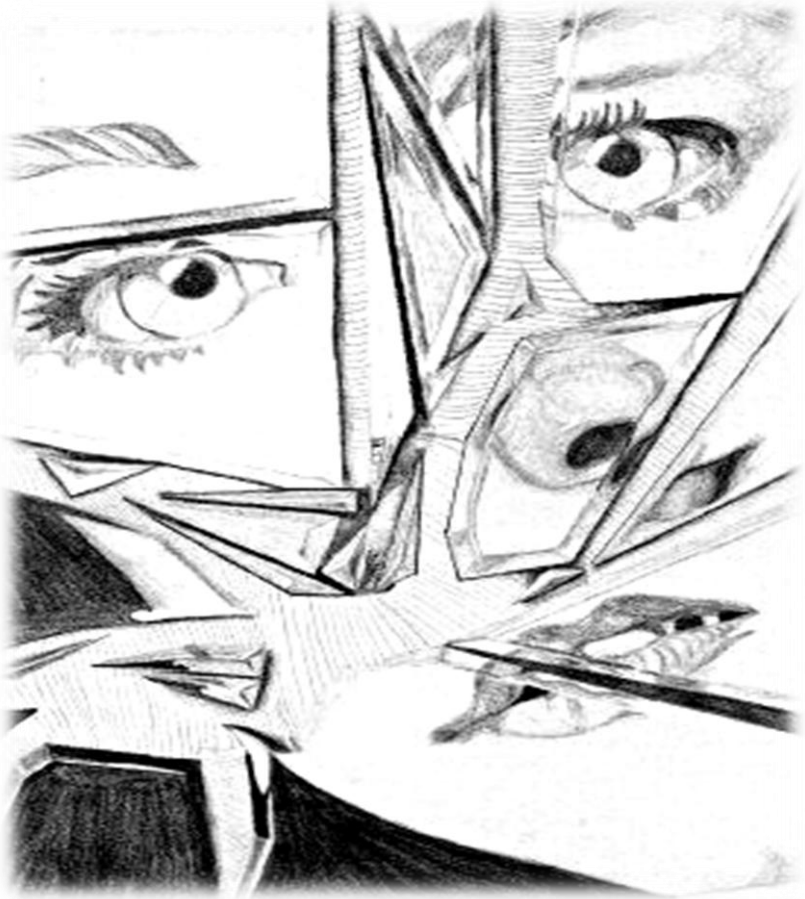

تسألين وأنت لم تريني منذ سنين: "كيف أصبحت، هل ما زلت تحلق شاربك؟ هل لديك الكثير من المعجبات أو ربّما حبيبة؟"

تتذكّرين يوم قلتُ: "جوهر الانسان لا يتغير، لكن يتسخ كما يتّسخ الزجاج الفاخر."

حينها سألتني: "لمَ اخترتُ الزجاج؟"

أجبتك: " لأنّ الزجاج يتحطّم!" ..

ما لم أخبرك به هو أنّ الزجاج أنواع بعضها شفاف وبعضها شافٌّ وبعضها عاتم، وبعضها هش والآخر صلب... هذه من الأمور التي يعلمها الفرد لكنّه عند سماعها من شخص مختلف بالنسبة إليه، يُدرك أنّه يتعرف عليها لأوّل مرّة، ويرى أن تلك المعلومة التافهة والعبارة المرتجلة، تتكشّف عن فلسفة عظيمة تستحقّ أن تكون موضوعا لمؤلَّف أدبي.

الجوهر كالزّجاج آنستي والجوهر لا يتغيّر، لكنّه يتّسخ ويُخدش ويُكسر كذلك وحين يُكسر يجرح من يُلامسه ومن يحتكّ به، أظنّك أدركتِ هذا وأنتِ الّتي أحسبك ذكيّة لإتقانك فنّ الحديث وّالردّ، رأيتِ تكرارا و مرارا سعادة من يحبّونني برفقتي، لكنّهم جميعهم في مرحلة ما يتأذون منّي بفعل لم يكن يجب علي القيام به، أو بفعل كان عليّ القيام به أو ما يسمّيه الحداثيّون بالتّجاهل، تلك اللّحظة هي نفسها لحظة اكتشاف جوهري ... الزجاج المكسور! الآن أجيبك ويسعدني أحيانا كما يؤسفني أحيانا أن أخبرك أنّي لم أتغيّر كثيرا، باستثناء الجزء المتعلّق بالشّارب، إضافة إلى تحوّل مظهري أكثر قوّة ورجولة بتساقط شعري الكثيف سابقا وصوتي الذي زادت خشونته فجأة يوم أمس، أمّا عن المعجبات، فلا أدري؛ لأنّي محصور بين العمل وعالمي المنزلي المتمثل في الكتابة والمطالعة والمونتاج وحل مسائل الذّكاء والألغاز، أحيانا يراسلني مجهولون يعانون من وقت عصيب، أحبّ محادثة المجهولين وأحبّ أن يتحسّن حالهم بمجرّد الإنصات لهم، هذا كلّ شيء. و أنتِ؟

كثير لأقوله... للا أحد

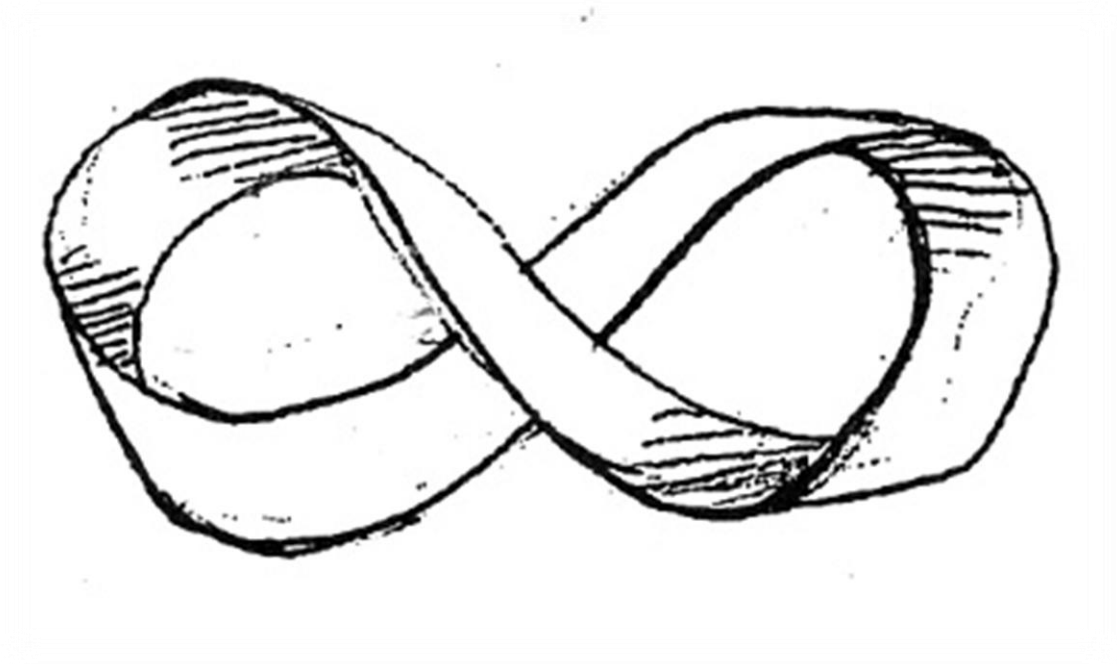

غاضب من كلّ شيء تقريبا ولا أحتاج لتمثيل الغضب في صوري، ورغم مزاجي المعكّر حاولتُ اختيار أحسنها قبل كتابة ما أكتبه الآن، الغضب يطغى على الإحساس لا على الذوق، لذلك تستطيع الفتاة الغضب حين رؤية حبيبها السابق مع أخرى أجمل منها، ذوقها لم يخذلها لترَى أفضلية الحبيبة الجديدة عليها.

لا يحقّ لأحد أن يطلب مني بلطفٍ أن أبتسم، اللطف ليس خيارا واردا بل هو حتميّة تنجرّ عن عوامل مسبقة، قد أكون أكثر غضبا حتّى! وسأعامل من يطلب مني أن أضحك بعنف، الضحكة والابتسامة لا تُطلبان، بل تحصّلان لتكونا نتيجة تبادل نقيّ لمشاعر ومحسوسات جميلة، حين أنظر بغضب، أشعر أني أستحقّ الكثير من التقدير لأني لست مخادعا ولا منافقا، كلّ ما أمنحه حقيقي حتى فيما يخصّ الأشياء البشعة، كحصول تلميذي على نقطة صفر من عشرين... غلق حسابي لأنّه ليس لديّ ما أقوله لأحد وفتحه فجأة لأنّ لديّ الكثير لأقوله للا أحد، شعرتُ برغبة في كتابة هذا الكلام على حسابي ثم الخروج والاختفاء من جديد فحسب! رغم كثرة الأضداد في عباراتي إلا أنّ العبارة السابقة تبدو منطقية بشكل سلس، بحيث لا أثر للتناقض بها، ما يضطرّني لاعتبار التناقض الشكلي مستقلّا عن التناقض الجوهري، وقد يتقاطعان بعد عقود

من محاولة التوافق التي يتكبّدها المنظور التّسطيحي للأفراد، قد ينتج عن ذلك فكرٌ شاذّ يتطوّر إلى رأي عام في عقدٍ بدائيٍّ، لمْ تتوفّر فيه الأسس والمفاهيم اللازمة لنفي الأمر برُمّته، مذ كونه برعُما وقبل أن يفرّخ لنا علما مستقلا مبنيّا على أسسه الضّالّة، ثم استحالته مظلّة تحجب حزم الحقيقة المتوالية من الأزل أو تحرفها عن طبيعتها المتوازية المتناسخة، التناقض هو عودة إلى نقطة البداية ومقابلتها بالقُبُل بعد أن خلّفناها خلف ظهورنا لحظة الانطلاق، أي أنّ الأمر اقتصر على تغيير وجهة نظر أو زاوية رؤية أو موقعنا في ظلّ تجاذبنا من أطراف تتعمّد اعتبارنا جزءا من تشكيل تكتّل، يعتبر فيه كلّ فردٍ منّا القشّة التي ترجح الكفة ربّما، نحن أطراف في معادلة من التناقضات المفروضة من طرف قوانين الكون، لكنّ مفاتيحها وقعت بين أيدي بشر مثلنا، عليهم مقاومة أطماعهم وشهواتهم ومزاجهم وأولويّاتهم وأنانيّتهم... ما قد يجعلنا فعلا أطرافا في معادلة محسومة سلفا يؤول حلها إلى الصفر، إن كنّا محظوظين أو إلى ما لا نهاية ما يعني حربا إلى أن يفنى الجميع، ومن تمّ تتوارثها الأجيال المخلّفة... بدأنا حياتنا بفرضية أن الأرض مسطحة منذ خمسين ألف سنة؛ أيّ التاريخ الافتراضي لظهور الجنس البشري وبعد كل هذه السنين، ها نحن من جديد نحاول إثبات أن الأرض مسطحة، دورة كاملة عمرها خمسون ألف سنة... نجتمع الآن عند النّهاية لنناقش البداية من جديد!

ملاعين

يمكننا من هذه النّقطة الكفّ عن ادّعاء أنّنا بخير، الأقدار تعاقب من يفرط في تجاهلها... وكأنّه لا يجب فعل أيّ شيء بانغماس كبير إلى درجة التّلذذ بفعله، فنحن بعد مئات الادعاءات بدأنا بتصديقها، تجاوزنا مرحلة لعب الدّور إلى مرحلة جعلت الكلّ يدرك أنّنا نعيشه، تتساءلين: " وماذا إن عشناه؟ إن صدّقنا أنّنا بخير في حين لسنا كذلك؟"، حينها حبيبتي سننسى أننا بشرٌ و أنّنا ضعفاء وأنّي هنا من أجلك و أنّك هنا من أجلي... كما أظنّ، سنكون بخير لأنّنا منافقان، سنكون مهاجرين تخلّيا عن وطنهما وسنكون منفيّين قد لا يحقّ لهما الرجوع ؛ و رغم كلّ الامتيازات التي نحظى بها في عالمنا الجديد، الكلّ يشير إلينا من بعيد وأحداقهم تلعننا، بعضهم يسمّينا غرباء و آخرون مجانينا وغيرهم يسمينا ملاعينا، و بين الحين و الآخر نصادف ملاعينا مثلنا، و كأنّها لم تكفنا لعنة الحبّ التي شرّدتنا في أزقّته وعلّمتنا أن الكرامة كثيرا ما تُلغى بيننا وغيّرت معظم مفاهيمي عن العزّة و الأنفة و القوة، أنا يا حبيبتي رأيت الكثير من الغرائب واختبرت بعضها، لكنّي لم أرَ مُشكلا يُصلحُ بتجاهله ، لعلّ الحنفيّة التي لازال يتسرّب منها الماء منذ شهر بالإقامة الجامعية؛ خيرُ دليل على صدق كلامي، لا بدّ لأحد ما أن يكفّ عن تجاهلها، عن اعتباره مجرّد صوت وعن التظاهر أنّها مجرّد غالوناتٍ من ماء، على أحد ما أن يدرك أنّ هنالك حنفيّة يجب إصلاحها، انتشاء الخمر سيجعل الأحزان تتأجل ولن تختفي بهذه البساطة بدون خوض حربٍ أخيرة، تنتصر فيها أو تختفي بتدرّج، لا بأس بالتوقّف عن التمثيل، نحنُ لسنا بخير وعلينا إصلاح الأمر، كنتُ أخشى قبل اليوم أن أُظهر مدى ضعفي، لكنّي أيقنتُ أن مدى تدهور حالتي سيجعلك تلاحظينها جليّا وأنه من الأفضل أن أهيّئك لأيّ مكروه قد تغافلنا به الأقدار، لا أريد أن يدمّر الماءُ كل البناء حتّى نستفيق، على الاقل ستمتلكين فرصة للهرب .

.لا أريد رؤيتك مجدّدا!

لمَ تظنّ نفسك أقلّ شأنا؟ تعيش على مقارنة نفسك بغيرك... صديقي هذا أغنى منّي، الثاني أوسم والثالث أذكى، تذكّر أنّك لم تُخلق وحيدا متفرّدا، هنالك دائما أفضل منك في أمر ما، أذكى، أغنى، أبرع ،أوسم... حينها ستحطّم نفسيّتَك و ثقتك بنفسك، أنت تمثّل نفسك فحسب، هنالك تَناسبٌ بين صفاتك يصنع منك شخصا متميّزا متفرّدا بذاته، حتّى أنك لو فكّرت قليلا لوجدتَ أنّ صديقك الغني ليس له إخوة مثلك وصديقك الذكيّ يعاني أمراضا على عكسك وصديقك مفتول العضلات أفقر منك... النّاس لم يتخلّوا عنكَ إلا بعدما تخلّيتَ عن نفسِك، الكلّ يشفق على ضعفك لكنْ لا أحدَ يحبُّ أن يكون بجانب شخص ضعيف لا يشدّ إزره ولا يحمل وزره ولا يرضى بثنائه ولا يقتنع برأيه، كثيرا ما تلتقي بشخص تحيط به هالة قويّة، تأسرك قوّة الشخصيّة لديه، حتّى حين يكون سخيفا يحتفظ بهيبته... إنّه ببساطة شخص يعرفَ نفسه فعرف لها الغير قدرها، أنتَ لستَ عديمَ الفائدة، ابحث عن شيءٍ على الأقلّ تملكُه، صوتٌ جميل أو خط جميل أو رسم جميل أو وجه جميل أو عقل جميل أو صديق جميل أو لسان جميل أو ابتسامة جميلة... ستجد شيئا ما بالتّأكيد، اجعل هذا الشيء سببَ فخرك و ابنِ عليه ثقتَك، دعهم يشكّون في عظمتك لكن لا تدعهم يشكّكون، ثم اقهرهم باستمرارك ولو بمقدار ميليمتر كل سنة، وإن اقتضَى الأمر قف مكانك... لكن لا

تتراجع إلى الخلف، النّجاح أفضل ردّ، انجح في أمر ما، أنت الآن ربّما... لم تجدْ من تسعد بجانبهم، لكنّ المشكلة في الأساس هي فكرك الخاطئ عن السّعادة، تعلّم أن تجدَ السعادة بمفردك، أن تكون قائما بذاتك وحين تتوصّل إلى هذه الدّرجة لن تحتاج غيرك، سيبحثون عنك وسيكون رحيلهم أو بقاؤهم في حياتك سواء مهما أحببتهم، فأنت تعلم أنهم مجردّ ممثلين يزعجك انتهاء دورهم في مسلسل حياتك، لكنّك بطل مسلسلك الوحيد، هم أوهام و أنت حقيقة، هم إلهاء وأنت المجرى، احذف كلّ من يعكّر صفو حياتك وأرسله إلى النسيان و سيملئ فراغَه غيرُه عمّا قريب، يؤلمك نزع ضرس متسوس لكنك سترتاح من آلامه وفراغه، سيلتئم ولن تتحسّسه بلسانك كلّ لحظة حين يفعل، كن لطيفا لكن عنيدا، قل لا وأنت مبتسم وارفض طلب غيرك منك وأنت تلاطفه واصفع خصمك وأنت تثني على نعومة خدّه... قرارك ثابت وتعاملك واضح وسلوكك متغيّر، لديّ شعار أظنّه أفادني كثيرا: "إن كنتَ خرجت من حياتي أتمنى ألا أراك مجددا وإن كنت ستدخلها أتمنّى أنك تنوي البقاء إلى الأبد."، أظنّك تدري معنى أتمنّى ألا أراك مجدّدا ، هذا يفوق قولك: "لا أريد رؤيتك مجدّدا!" ، التمنّي هو طلب الأمر حتّى وإن كنتَ لا تريده ، لا أكترث بما تكون أو ما تمثل بالنسبة لي فأنا قرّرت إنهاءك وانتهى، جميل هو هذا الشعور، شعور التحكّم في قراراتك ومرادك، إنّه الجبروت على الذات... إنّها الهيمنة على كلّ من يظنّ أنه بوسعه خذلانك، كأنك تقول: " أنت لا تساوي إلّا بقدر حسن نيّتك، أنتَ بحياتي لأنك تريد ذلك ولأني أريد ذلك، يكفي أن يشكّ أحدنا فيما يريد لأعلن نهايتك.".

بما أنّك قرأت كلماتي ووصلت إلى هنا، هل تظنّ أنها أفادتك؟ هل وجدتَ الشيء الجميل الذي تملكه؟ هل أنت مستعدّ لتكون شخصيّة قويّة؟ هل أنت مستعدّ لاتّخاذ القرار الصحيح بلا ندم؟ لتعرف الجواب فكّر في ذلك الشخص الذي اعتدتَ على وجوده لكنّه يجعل حياتك مضطربة وقلقة، هل تستطيع إنهاءه من حياتك الآن من دون ندم وبلطف وتسامح؟ هل أنت واثق أنّك لن تندمَ لاحقا؟ هل ستحرق كتابي إن ندمت على تصديقه؟

بيتزا بالجبن أم بيتزا بالجبن؟

اقترب الموعد، بقيتْ بضع دقائق على لقائك، يوم الإثنين هو يوم عمل، لذلك لن تكون الشوارع في أوجّ ازدحامها، فلنأمل ذلك، مررتِ بي وأنا أنظر إليك، لم أكن قابلتك منذ الإثنين الماضي الذي لا أعلم كمّ مرّ عليه، لم تريني، توقّفتُ لأنظر إليك مبتعدة كأني واثق من عودتك... وعلى بُعد خطوتين، رسمتِ على وجهك ملامح حيرة و شكّ ملتفتة صوبي وناظرة إليّ ثم... سرتِ نحوي وابتسمنا معا بتناغم، سألتك عن الطريق إلى المجمّع التجاري ثمّ ذهبنا إليه معا، كنتِ تسرعين، بدا وكأنك غير معتادة على المدينة وكنتُ أُبطئ في كلّ مرة من سرعتك، سخرتُ منك يومها بما يكفي، كنتِ تضمّين راحتيك إلى بعضهما وتنظرين إليّ وتشرقُ عيناك العسليّتان على ملامحي الباردة... ابتسامتك جميلة و.. وهذا كلّ شيء، بحثنا عن بيتزيريا طويلا، ولمّا وجدناها سألتُ النّادل: "هل هذه قاعة عائلية؟"، ثمّ جعلتك تقابليني وخلفي الجدار حتى لا يبادلك النظرات أحد... غيرة عربية متوارثة، جاء النّادل

وعرض علينا بيتزا بالجبن وهو النّوع الوحيد الذي يقدّمونه، فطلبتُ واحدة، أكلنا منها ولم نكملها، كنتَ مشغولا بحركات شفتيك التي تقلّد الأطفال حين يغضبون، وأتذكر في ذات الوقت قولك أنّك مغرمة بالأطفال، لذلك صدّقتك أكثر مما يتطلّب التصديق، كنتِ أحيانا تحدّقين إليّ فاتحة جفنيك على مصراعيهما، ليبدوَ جليّا شكلهما المغزلي الشّبيه بالسّمكة، ربّما لتغرقيني فيهما، غير أنّي كنت خبيرا في أنواع الأسماك بما يكفي لأتمالك إعجابي، وأمنعه من الرّضوخ لإغرائك، بعد أيّام... لُمتني كثيرا لأنّي لم أسألك عمّا تريدين تناوله في محل البيتزا، أجبتك: "أتريدين أكل البيتزا أم البيتزا؟"

فالمحلّ فيما أذكر كان يقدم نوعا واحدا! ضحكتِ من ردّي رغم عنادك الشديد، أنتِ أوّل عنيدة تنال قبولي.

حين مشينا في الحديقة، كان جليّا أنّ لا أحد يهتمّ بنا، لكنّ عدم اهتمامنا بأحد جعلنا متعادلين... أنت وأنا وهذا العشب يدعونا للمزيد من المشي عليه، كان غضّا كخدّك الشاحب، كنتُ أفكّر في قضم أحدهما، من يقضم فتاة التقاها قبل قليل؟ كنتِ قصيرة في غاية الأنوثة وكنتُ أخفض رأسي لأصافحك في كلّ مرّة بنظراتي وأشعر أنّي أكبر ممّا كنتُ عليه قبل نظرة وأكثر فخرا ممّا كنتُ عليه قبيل خطوة...

نجتمع بعد أن يفترق الجميع

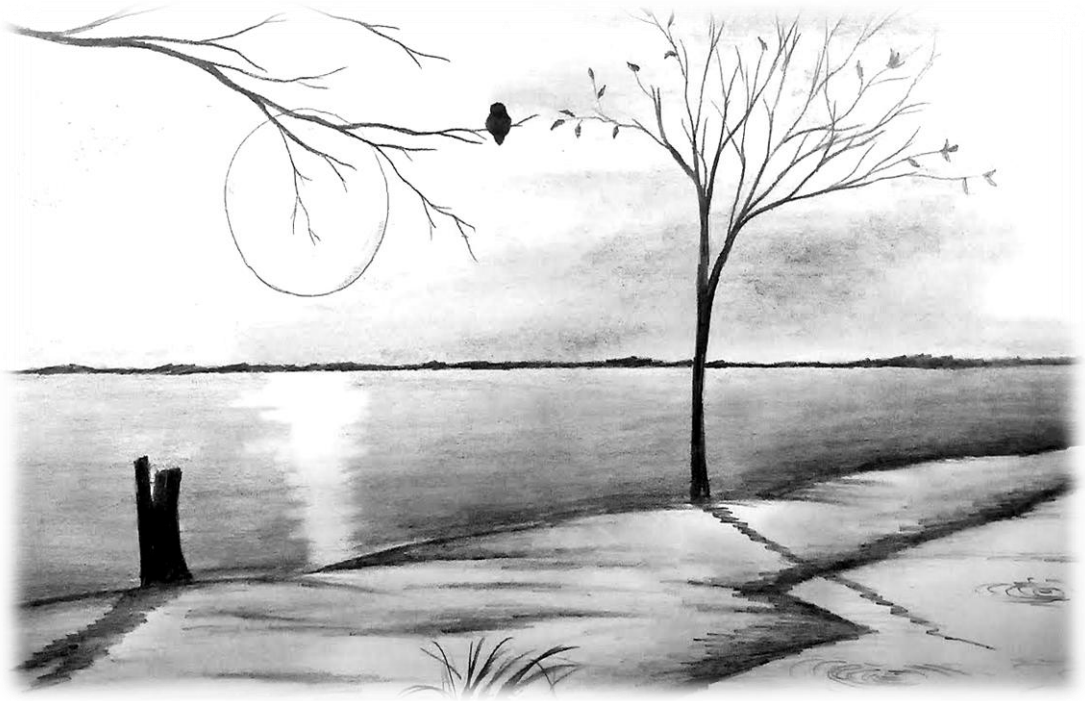

لستُ صغيرا كما يُرجى ولا كبيرا كما يجب لتسمحي لي بسماع دبيب الخواطر في فؤادك المقهور، لستُ ضريرا لتتعرّي من كبريائك بطمأنينة أمامي ولست بصيرا بما يكفي لإدراك ما يسكن دواخلك من نور، لستُ مذنبا بطلب رحيقك ولستُ إن استسغته بمعذور، لو عاد بنا الزمانُ كنتُ سأسألك: "كيف تقبّلتِ وجودي الثقيل في قلبك الميّاد؟"، وكيف احتملتُ العيشَ في قلب واحد طيلة عقود؟ إلى أيّ مدى كان شاسع الأشبار ليُعجز تسلّطي ووارف الإحساس ليكفيَ نهمي؟ كيف استطاع أن يكون جميلا كفاية حتى أعجز عن رؤية الزخرف في غيره؟ ما تلك اللّذة التي لم يتّصف بها سواه ولم تُوصف لسواي؟ تتمنّى المرأة رجلا مستعدا للعيش من أجلها ويتمنى امرأة تستحقّ أن يموت ليفتديها، بينما لم نتمنَّ إلّا نكونَ معا في الحالتين، ما الذي جعلنا مغرورين لطلب الأمرين... المعجزتين معا؟ أظنّك سايرتني فحسب... لطالما كنتِ أعقل من معارضة أحمق متعنّت.

حبيبةَ أيَّار بورده المحتضر، حضرةَ الماء في الحلقِ المشقوق، وهبَّة الصّبا في اليوم القائظ... لم تعدْ ثمتَ مِن أنثى تقبلني داخلها بعدك، وجودكِ جعلني أكبر بقدر لا يتسع لي بعده إلّا الفراغ والوحدة، كبرتُ بقدرٍ تعجز بعده الأبصار عن احتوائي، فهم يرون بنظرهم إليّ كلَّ شيء إلا أنا، تذكرين قصة: "الجميلة والوحش؟" قلتِ أن الوحشَ أيضا جميلٌ إذا أغمض الناس أعينهم و نظروا إليه، يجدُر بهم وضعي مكانه فنحن متشابهان غير أنّي النسخة الحقيقية، إنّها لعنتك، ستزول حينَ أجد جميلة أخرى تقبل بشاعتي وتحبّني أيتها الساحرة... وها هي ذي لعنتك من جديد تشفي غليلك بتشريدي بين الصّبايا، مغرما بعيونهنّ سكرانا، مذ أزلفتِ إليّ خمرتك الحسنى وأعرضتُ عنها حمقا وتعاليا، ابتليتُ بَعدها بوضاعة خمورهنّ، أنهل من حميمها، ترميني متذلّلا عند العتبات، ثمّ يستنكفن مستكبرات، لا واحدة ترضى بعقل شاردٍ بذكرياتك ومنطقٍ مليء بالمقارنات، يصفك على أنّك متغلبة بصفاتك في مطلق الأحوال، أذكر حديثَك عن النجمة التي سقطت بين ناظريك و نحن نتأمل السّماء، تمنّيت لي أن أعيش حُلمي، وهبّ النّسيم مبعثرا شعرك الأصفر المتماثل للسواد، قبّلتُ جبينك ثم صوّبنا ناظرينا للسماء وانتظرنا النجمة التّالية، حينها نظرتُ إليك مجدّدا، قلتِ أن النّجمة ستمرّ في أيّ لحظة ولن أراها، أجبتك أن عينيك واسعتان، كانتا خضراوين كالسّهول، جوّادتين كالمروج، دامعتين كالبحار وصادقتين كرجل يحتضر، وكنتُ أتعلّم الوحيَ منهما، وقرأتُ نبوءتي فيهما ذاك اليوم... سنفترق! شيء بهذا الجمال لا يدوم طويلا، عيناي السّوداوان كانتا دخانا عاتما يحجب خواطري وحزني، أخفيتُ عنك النبوءة ... أخبرتك أنّي سأبصر النجمة إن هوت في عينيك ولمّا هوت... تمنّيتُ أن نجتمع بعد أن يفترق الجميع، و اليومَ كلّ ما أفعله هو العيش في حلمي كما تمنّيتِ لي... اللعنة.

أحيانا

في هذا الوقت، أنتِ على الارجح مرتمية بين أحضان فراشك، تبتسمين لتذكّر أمور جميلة لأنها حاضرك، وتسعدين لتذكر أيام عسيرة لأنها انتهت، وتأملين في إشراقة أيّام جديدة تباغتك بهدايا ربّانية. وأنت حين تستيقظين لا تكفّين عن سؤالي، بإمكانك إمضاء العقد القادم تفعلين ذلك، تسألين عن أي شيء، عن الطعام أو الجوّ أو آنية مطبخية... أستطيع إمضاء مئة سنة أتحدّث إليك، أجيب بكلّ سرور وخشية، أخشى من الأسئلة التي أنتظر إجابتها وأجهلها مثلك، أحبّ أن تسأليني وأخشى أني قد لا أستطيع إشباع اهتمامك، مجاراة الخطوب وحيدا، يُمسي ضغطا أكثر فأكثر، بينما لا يسعني سوى الإنتظار، مزيد من الإنتظار و لا أملك أيّ شيء غير الوقت، الكثير من الوقت، أرفعه و أطرحه و أرمي بعضه على السرير وبعضه على الحاسوب و آخر في تأمل السّقف... لا أستطيع الحديث مع أحد، سأضطر حينها إلى أن أعاني أكثر في اختيار العبارات اللائقة التي تبدي أني في أحسن أحوالي، أو أنْ أعاني أكثر في شرح مشاعر لن يفهموها على كلّ حال، لا زالوا يسألونني: "هل تتحدّث عن نفسك في كتاباتك و أشعارك و خواطرك؟"، فأجيب: "أحيانا!" يصعب التصور كم تكون كلمة "أحيانا" تتحدث عنّا غالبا، كنتِ مُحقّة ربّما في قولك أنّي شخص أسَره الحزن، ويجب عليه الهروب، لكنْ لم تدركي أنّ الماضي لم يعد يحزنني، تخطّيته منذ سنين والآن لا مفرّ

من مواجهته من جديد، سأهزمه من جديد أو سينهيني، كان عاما صعبا بالنّسبة لي... لا أحد علمَ بذلك، ما كانت كلّ تلك الضغوط الهائلة لتمرّ بسلام على ما يبدو، لا أدري من علّمني أن الرّجال أقوياء، يموتون والحربة منتشبة في صدورهم ولا يتأوّهون، كنتُ أتمنّى لو علّموني كيف أن الفضفضة والبكاء والتألم... حقّ للجميع... فات الأوان الآن.

أنا وحدي دولة

نظرتُ إلى المسافرين هامسا داخلي: "خذوني معكم"، لطالما كرهتُ لحظة ذهاب الكلّ وبقائي وحيدا في المحطة، أشبه الكراسي والجدران والعلبة المرمية في الزاوية هناك.

أنا شبيه بك يوم ودّعتك ونظرتِ إليّ حتى غبتُ عن الأفق، أعلم هذا لأني مثلك، شيّعتك بنظراتي إلى كنهِ الطريق ولا زلت أذكر آخر منعطف بيننا، بدوت كقطعة حلوى نادرة تختفي في التواء أمعاء طفل يتلذذ بالتهامها ويبكي بحرقة لأنها آخرة مرة، أنظر إليهم هامسا داخلي: "خذوني معكم" وتردُّ نظراتهم نافرة: "إلى أين؟"، فأردّ: "خذوني إليها..."

هم لا يكترثون بي... أنا لا أكترث بنفسي، أنا مجرّد فوضى، أنا مجرّد إنسان دونك، أعلم هذا من القميص المنكمش الذي أرتديه ومن نعلي التّقليديّ، وأعلم هذا لأني حاولت أن أجدَ لنفسي قيمة قرب كلّ شيء لكن

كلّ ما وصلتُ إليه هو إقناع الآخرين أني ذو قيمة داخل لباسي الأنيق أحيانا؛ وحروفي أو إلقائي أو حدسي القويّ أو مشاعري الدافقة أو... أو... ثمّ أعود إلى نفسي ليلا بقميصي المتهالك وضحكتي الصبيانية وعدم اكتراثي وغرفتي المبعثرة، أتطلّع إلى ملامحي، هل أتماثل للعافية أم ازداد حالي سوء؟ أحيانا أشعر أني أنتقم من نفسي بإهمالها، بعدم رعايتها، عدم أخذ جرعتي في الوقت المناسب يولّد مشاعرا من التلذذ بالانتقام، لمَ عليّ الانتقام من نفسي؟ إنها حقيقتي والباقي ليس أنا!

أنا وحدي دولة، تعيش بسلام مع دول الجوار وداخلها حروب أهلية وطائفية وعنصريّة، أنا خطأ شعوري وتقلّب جوي وشذوذ نحويّ وبائس يجلس على كراسي المحطّة المهجورة مبتسما، أنا... فوضى تسير على الأرض... خذوني إليها!

توقيع متشرّد في محطّة المسافرين ليلا.

وردة بدينار

يسرقونك من سكونك ويلقونك في ضجيجهم، يصفونك بالجمال ثم يقتلعونك ويضعونك زينة وسط الخراب، فتضفي عليه الحياة ويسقيك الموتَ ويقتلك، قطعة ثلج تذوب لتجعل الماء باردا، وماء ساخن يبردُ كي يذيب قطعة الثلج، لا يغيّر من طبعنا إلّا من هم من نفس جنسنا ونوعنا، من يشبهوننا، بقدر ما نغيّرهم.

خلال سعينا للوصول إلى منطقة وسطى بيننا، ندرك أنّنا قطعنا نصف الطريق وأنّنا تخلّينا عن نصفنا استعدادا للتلاؤم مع النصف المتبقّي من الآخر، لكن قد نقع ضحيّة عدم تشابه التضاريس أو أنّ أحدنا قطع مسافة أكبر و تخلى عن ثلاثة أرباعه، بينما الآخر بالكاد يتقبّل فكرة إنهاء الرّبع المتبقّي، أنا تخلّيت عن كلّ أشيائي الثمينة مسبقا حبيبتي، بعتُ سيّارتي وهجرتُ غرفتي وحلقتُ لحيتي، توقّفتُ عن النّوم ولزمتُ الأرق، أرهقتُ نفسي لأثبت لها أنّي أستطيع التخلّي عن أيّ شيء، واليوم بعد اكتساب هذا الزخم ووصولي إلى مرحلة متقدّمة من تدهور حالتي، أظنّني مستعدّا للتخلّي عنك أيضا، للتخلّي عن الكتابة عنك وللتخلّي عن حسابي الذي لن تفتر عزيمتُه في ربطي بك وإرجاعي إليك، كأنّي مشدود إليك بحبل متين، أهرول لأعوام ظانّا نفسي مبتعدا، لكنّه شدّني إليك طول الوقت، ضاعت الأماني والساعات و أنا كعقرب السّاعة، أدور في حلقة مفرغة حولك، داخلي عالم لا تطلع فيه شمس و لا يهبّ به نسيم ولا تعلو فيه الضحكات، أنا أحبّك و... وأنت أجمل شيء فيه، أهديتك عالمي باعتقاد قوي أنّه لا يليق بك، لكنّك آذيتني حين استيقظت ذات ثانية ووجدتُ أنك هجرتِ وتركت دمية تشبهك، هل يُلام الطفل إذا اشترى وردة بدينار واحد وكان الدّينار كلّ ما يملك؟ ربّما لمْ يستحقّ ان ترمي وروده.. آنستي.

عند النهاية ... أنتظرك

كفانا مجاملة دعينا نتجادل! دعيني أثور ضدّ أدبي وأنعتك بأقبح ما فيك، دعيني أفتّش في ماضيك وأقف مشيرا إلى مواطئ أقدامك التي انحرفت في كثير من الأحيان، دعيني أستوقفك وأخبرك أن تلك المفردة لم تعجبني وذاك الحديث أشعرني بالملل، دعيني أنعتك بالقبح حين لا أكون بخير، دعيني أغضبك وأخرج أسوء ما فيك ثم أتوسّلك: "أرجوك أيقظي الإنسان الفاسد الذي يسكنني!"

هكذا تناثرت روحانا كالسّجع على وزن مكسور، تترددان مثل الصدى في كهف مهجور، يغطّي تآلفهما التباين والنّشاز الذي يقع في طبقة أعمق ممّا تراه عينٌ غير خبيرة؛ مفتونة بالألحان الهادئة الثورية، يصادف أن يوافق التآلف الإيقاع الصحيح للأمور بضربة حظّ، لكنْ بتردّده تتكشف العيوب ويصبح ذاك السّجع الجميل غير ذي معنى، لأن وزنه غير رتيب، كالعقد الذهبي المطرّز على رقبة امرأة مكتنزة في أحد الأعراس، ثم يتضح أنّه ليس من ذهب خالص، و اليوم أحاول تذكّر تفاصيل لقائنا ولا أدري من كسر الآخر، لعلّه قلبي من كان كذلك منذ البداية، نتغاضى عن عيوبٍ في انتظار أن تصلّح، لكنّها تتحيّن الوقت الأنسب لإصابة أحد مفاصل علاقاتنا ومشاريعنا لتهوي أو لتتهاوى ببطء، هل يمكن أن العكس هو ما حدث؟ أن التآلف المكسور من بدأ الحكاية؟ أنا لا اناقش التفاصيل من أجلي آنستي... بل من أجلك! كرجل بعقلٍ ينظر للنتائج ، اقتنعتُ منذ الصفعة الأولى أنّ لدينا شيئين مكسورين و لا يهمُّ أيهما ظلم الآخر، أنا هنا عندَ النّهاية أقف منتظرا وصولك، أعلم أنّك غارقة في متاهات التفاصيل، لست أنتظرك لأثبت أنّي على حقّ منذ البداية بل لأشاركك النهاية؛ وتشاركيني تلك الأشياء التي التقطتها في طريقك والتي أعجز عن إبصارها، أريد أن تدليني على مواضع التصدّعات والحفر والتشوّهات، حينها فقط؛ نحدّد إن كنّا سنعيد السّجع إلى الإيقاع الصحيح أم نلغي أنشودتنا ،إن كنّا سنرمّم ما تصدّع أو نهدم كلّ شيء!

الفهرس

عنوان النّصّ	الصّفحة
من أنت سيدي؟	6
من الدّرجة العاشرة	8
على قلبك أيّتها الغبيّة	10
ألاحقك	12
النّاسك المنحرف	15
الذّبابة السّاقطة	16
ماء باردٌ حبيبتي... وألف مصباح	18
أكثر وسامة	19
من أوّل يومٍ أحببتك فيه	21
أبحث عن سبب	22
مركز الكون	24
كيف يمكنهم؟	26
شعلة وسط الصّقيع	27
نصبح صديقين	28
أنحرُ عنقك	29
مجرّد رقم	31
حين يقيمون جنازتك	33
ماذا أساوي دونك؟	34
إلّا موضع صفعتك	35
كيد الرّجال	36
حيّ لا تموت	37
حالة عدم تعيين	38
زهرة في شبر منسيّ	39
أكثر براعة	39
قبل أن يُخلقَ الحبّ	40
ألف طريقة	41
نقطة	42

من سمح لك	43
نقطة أوسع من قلب	44
ثمّ رحلوا	45
الرّفاهية	46
شخص أراد كلّ شيء	47
أفضل خيار	48
الحدّ الفاصل	50
قشّة فوق الجرف	52
لمن أعتذر	53
الظّلام وأنت	54
عالم مليء بك	55
لم يحرسونك؟	57
نظرات إلى لا شيء	58
لا تموتي	59
الزّجاج المكسور	60
كثيرٌ لأقوله	62
ملاعين	63
لا أريد رؤيتك مجدّدا	65
بيتزا بالجبن أم بيتزا بالجبن؟	67
نجتمع بعد أن يفترق الجميع	69
أحيانا	71
أنا وحدي دولة	72
وردة بدينار	73
عند النّهاية أنتظر	74